

كتاب
أكتوبر ٢٠٢١ م
(١)

رمال متحركة

قصص

عبدالكريم الشهاري

عبد الكريم الشهاري

رمال متحركة

قصص

الطبعة الثانية (2021)

عنوان الكتاب: مرمال متحركة

النوع : قصص

المؤلف : عبد الكريم الشهامري

الناشر: مجلة إل مقه

جميع الحقوق محفوظة لـمجلة إل مقه

elmaqah2020@gmail.com

الإهداء

إلى الرائعة دائماً
زوجتي

كانت مجلة (إل مقه) محاولة لإحداث تواصل أكثر بين القراء وبين الكتاب، وبدأت هذه المحاولة لتتحول إلى تجربة قدمت الكثير من الأرقام، وحظيت بالكثير من القراء، وهي تجربة للتواصل الرقمي مكملة لعمل نادي القصة في الواقع، الذي مثل استمرارية جيدة في العمل الثقافي خلال سنوات طويلة تجاوزت العقدين من الزمن، وظل من أهم أنشطة نادي القصة: الاحتفاء بالإنجازات الكتابية، وتقديم الخدمة النقدية أو الإعلامية لأصحاب الإصدارات والاحتفاء بهم، وفي هذا السياق نضيف هذا النشاط والمتمثل بإصدار كتاب إل مقه، الذي ننوي أن نوصل من خلاله عددا من المؤلفين والمؤلفات في المجالات الأدبية والثقافية إلى قراء وقارئات اللغة العربية في كل مكان في العالم.

وتتمثل هذه الخدمة في جعل الإصدار متاحا بالمجان عبر موقع نادي القصة وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، ونأمل أن نتمكن من تقديم الفائدة لكل من المؤلف والقارئ، بقدر الإمكان.

ولن نبالغ كثيرا في توقعاتنا ولكن من المؤكد أننا نحتاج لهذه التجربة ونأمل أن تكون إضافة لتقافتنا وأدبنا.

مجلة إل مقه

نادي القصة اليمني

الجوارب

ما هذا البلاء في هذا العالم يا ترى؟!

لا لذة تكتمل حتى تبدأ الممرارة من جهة أخرى، اليوم الذي صدر فيه القرار لمعالي الأستاذ حسن يوسف نائباً للوزير بعد عشرين عاماً من الكفاح الوظيفي، إذا بوضعه العائلي المستقر يتهشم، ولماذا؟! لسبب تافه وفي اليوم التالي لتعيينه في هذا المنصب الرفيع الذي لم يكن يحلم به، هل كان لهذا القرار تأثيراً على سلوكه وأدى إلى تعاليه على زوجته حقاً كما كانت تدعي، لكنه حاول إرضاءها بكل السبل وهي التي لم تقبل مراضاته لها وعليها أن تتحمل العواقب، هذا ما كان سعادة النائب يحدث به نفسه مؤخراً، ليبرر الورطة العائلية غير المحسوبة التي انزلق اليها مؤخراً

بدأت القصة عندما ذهب ليحتفل مع زوجته في الليلة الأولى لتعيينه نائباً للوزارة العتيدة، لقد استمتعا كثيراً، ولم يكن هناك ما يعكر صفو العلاقة بينهما، وقد تواصل مع ولدهما الوحيد علاء الذي كان يحضر الماجستير في الجزائر، وقد شاركهم مع زوجته فرح وطفلها الوحيد مصطفى الفرحة عبر شاشات التواصل الاجتماعي، وقبل أن ينام حسن يوسف في تلك الليلة التاريخية الأولى التي سيصحو فيها مسئولاً رفيعاً، قال مداعباً زوجته: أرجو أن تكوني قد حضرتي جواربي المفقودة دائماً، فقد أصبحت نائباً للوزير، ومركزي في الوقت الحالي لن يحتمل بأن أذهب دون جوارب، أو بزواج جوارب مختلفين، بدت مزحة سمجة حتى أن زوجته لم تكلف نفسها الرد عليها سوى بهمهمات ممطوطة، لكنه عندما استيقظ في الصباح لم يجد الجوارب كالعادة، وهذا ما أحنقه وجعله يخرج عن طوره بكلمات كان يتمم بها، وهي في مجملها تتحدث عن حظه العاثر مع الجوارب، حتى أن زوجته عندما نهضت كعادتها من الفراش متأخرة لتلحق به قبل الخروج وهي نادراً ما تفعل، فهي في العادة تواصل نومها وهو من جهته يدعها تسبح في نومها، ولا يسمح لنفسه أن يوقظها من

نومها، ليخرج مطمئناً إلى نومها العميق، لكنها في هذه المرة صاحت في
حدة

- ماذا دهاك يا رجل، يفترض أن تكون أكثر رزانة فقد أصبحت في موقع مسئولية، ما هذه الثرثرة اللعينة
- هذا بدلاً من أن تساعدني في البحث عن الجوارب
- وهل جاء يوم منذ أن عرفتك ولم تبحث فيه عن الجوارب ... وهل هناك شيء لا تضيعه في هذا البيت، إنك شارد طوال اليوم أو منكباً على عملك، وأنا أظل وحيدة حتى في وجودك، لقد كرهت هذه الحياة، وكرهت معها العيش معك...
- ماذا حل بك يا امرأة الأمر لا يستحق، سأشتري جوارب جديدة كالعادة لا عليك
- من المؤكد أنك ستشتري ما يحلو لك، ولذلك لا تأبه بأن تفقد أي شيء لأنك ستستبدله بيسر، بل إنني أحياناً أشك بأنك من تتعمد أن تفقد الأشياء لكي تعوضها.
- ها هو البيت أمامك، وما فقد من جواربي لا تظهر مرة أخرى منذ عرفت نفسي، وإن فعلت فلن يزيد ما يظهر عن فردة واحدة، وهذا يعني كأن شيئاً لم يكن، وأنت دائماً تشاركوني في البحث عن إجابة لنفس السؤال أين تختفي الجوارب؟ فماذا دهاك اليوم؟ أما بالنسبة للمال فأنا لا أشتري لنفسي شيئاً سوى ما تقومين أنتِ بشرائه وبطاقة الصراف الآلي لراتبي في حوزتك دائماً ألا تذكرين.
- عفواً لقد نسيت أنك ذو نفس طويل في الشجار، ولا شك أن هذا النفس قد ازداد مع المنصب الذي وصلت إليه
- وما دخل المنصب، لقد وصلت إليه باجتهادي وهمتي، وأنتِ تعلمين ذلك
- أنا لا أحسدك إذا كان هذا هو القصد من كلامك أيها الأناني المتكبر

- حسناً أنا أعتذر أرجوك، ألا تغضبي سأعود ونذهب إلى المكان الذي ذهبنا بالأمس إليه وأعد لك مفاجأة هناك
- من يسمعك يقول إننا بالأمس قد عشنا في وسط الجنة، أنت فرح بمنصبك الجديد وأنا أجاريك ولا اعتبار لي لديك
- أرجوك فلتدعيني أذهب إلى العمل هادئ البال
- كل ما يهمك هو عملك وأنا آخر اهتماماتك، ولكن هذا لن يمر إلى هنا وكفى لن أتنازل عن حقي في هذه المرة.

وصفت الباب وراءه

من هنا كانت بداية الأحداث التي تسارعت في تعقيدها، فالزوج لم يجد زوجته في المنزل عندما عاد، وهو لم يكن يجد أنه قد أخطأ في حقها لذلك تريت في الذهاب إليها لمراضاتها، والزوجة الحانقة ازداد عنادها، وعندما وصل الزوج إلى منزل والدها بعد شهر، خرج غاضباً بعد أن وجد أن المسألة قد خرجت عن إطارها، وأن العناد قد زاد عن حده، وقرر أن يظل فترة أطول حتى تهدأ زوجته وتعود إلى رشدها كما كان يتصور، لكن هذا التأخير اعتبر من جهة زوجته أنه استهتار، وعندما ذهب إليها معتذراً بعد فترة طالباً منها الرجوع إلى المنزل، كانت قد قررت التصعيد، ما أدى إلى غضبه الشديد وعودته إلى منزله أكثر غيظاً وحنقاً.

مرت ستة شهور قبل أن يتدخل ولده علاء دون أن يستمع إليه أحد، ولذلك اضطر أن يرسل زوجته فرح للتوسط بين الطرفين، عندما وصلت فرح أبدت لها عمتها فاطمة أم زوجها علاء الكثير من التقدير والترحيب، وحكت لها وهي تغالب دموعها إهمال زوجها لها رغم عدم وجود سبب حقيقي لكل هذا الهجران، وعندما ذهبت فرح إلى عمها حسن يوسف رفض أن يشاركها هم ما جرى بينه وبين زوجته وكان يزعم أنه ليس من جانبه أي مشكلة مع زوجته، ورفض أن يتحدث عن الموضوع وكان

يتهرب من حديثها ليسألها عن حالها في الغربة مع زوجها وقد تعمد أن يتجاهلها ليلعب حفيده الصغير مصطفى

تفهم علاء موقف والده بعد أن أبلغه استياء زوجته منه لعدم استجابته لوساطتها، فكبرياء والده يمنعه من أن يتدخل الصغار لحل مشكلته مع زوجته، فالعكس هو ما يجب أن يحدث، تضاعف حنق الأب من الأم، التي كثفت من ثرثرتها بمشاكل مزمنة في حياتها مع زوجها والتي لم تكن موجودة أصلاً لتزيد الأمور سوءاً، تعاضم كبرياء حسن يوسف ورفض استقبال زوجة ولده، ما دفع فرح أن تقف موقفاً غير محايد لصالح عمته فاطمة وأن تتخذ موقفاً من عمها حسن يوسف، اضطر علاء العودة إلى البلاد ليحل المشكلة بنفسه بعد أن رفضت زوجته أن تعود إليه إلا بعد حل المشكلة بين الطرفين ويتم انصاف عمته وأن يتوقف تعسف عمها وظلمه لها

انفتح الأب لوساطة ولده علاء، ووافق أن يعيد زوجته معززة مكرمة وأن يلبي كل طلباتها، لكن الأم رفضت وساطة ولدها واعتبرته متحيزاً لوالده ضدها، وعندما يئس علاء من إصلاح العلاقة بين الطرفين قرر العودة لإكمال دراساته العليا بينما رفضت زوجته العودة معه مبدية تعاطفها الكامل مع عمته ضد عمها

كانت فرح قد انغمست في المشكلة، وأصبحت طرفاً فيها وهذا ما زاد من حدة الخلاف، لتتنقسم الأسرة إلى طرفين متنافرين، الأب وولده في جهة، والعمة مع زوجة ولدها في طرف آخر.

اعتبر علاء أن زوجته تتدخل بشكل سيء في مشاكل أسرته، وعليها الانسحاب والعودة معه إلى الجزائر، لكنها رفضت وبإصرار ما أدى إلى أن يتخذ قراره ويطلقها، ليعود وحيداً، تاركاً ولده وزوجته السابقة خلفه

الانفصال بين علاء وزوجته زاد من حدة المشاكل بين حسن يوسف وزوجته فاطمة التي حملته سبب انفصال ولدها عن فرح، ولذلك طلبت منه الطلاق وهو بدوره لم يتأخر عن إرسال ورقة الطلاق إليها معتبراً أن الموضوع يمس كرامته مباشرة وهو لن يبقَ مع امرأة تطلب الانفصال عنه

لم يمر الكثير من الوقت حتى تزوجت فاطمة بالرجل الأرمل الثري، وهو عم فرح وشقيق والدها الذي ماتت زوجته منذ عام والتي تتمنى الكثيرات الارتباط به، بعد فترة ليست بالطويلة عادت المياه إلى مجاريها بين علاء وزوجته فرح، بينما تدهورت حالة حسن يوسف على المستوى الإداري والشخصي وفضل البقاء في البيت منعزلاً عن الناس، وما تزال قصته مع الجوارب من النوادر التي تحكى حيث أنه في الفترة الأخيرة كان يحضر إلى العمل لابساً جوارب مختلفة، وأحياناً يلبس الحذاء دون جوارب ما جعل منه مسخرة من قبل زملائه، وقد تم الاستغناء عن خدماته الإدارية، نتيجة لإهماله وعدم تركيزه في العمل وتغيبه المستمر عن الدوام

في أحد الأيام بينما كان حسن يوسف يمشي في الشارع هائماً على وجهه حافي القدمين إلا من زوج جوارب مختلفين ومهترئين، إذا به يسمع ضحكة زوجته الرنانة في غنج ودلال، هذه الضحكة التي لا تصدر عنها إلا عندما يتم مداعبتها في الأعضاء الحساسة من جسدها، كان بالضبط يمشي في ممر ما بين شارعي الذهاب والإياب، وعندما ركز نظره رآها في الجهة المقابلة له تماماً في السيارة المركونة جانباً، ولا يفصله عنها سوى سيل السيارات الجرار، كانت تركب أفخم السيارات وأحدث الموديلات، لقد كانت تتلذذ بشرب العصير كما يبدو وبأشياء أخرى تعبر عنها نظرة الزهو والابتسامة الجذلة على محيا رفيقها الخمسيني، كان جسدها يتمدد وينكمش ويدها تتصدى بضعف يغري تصعيد الهجوم من قبل أصابع الرجل التي كانت تعرف طرقها المختصرة لعزف أجمل

الضحكات التي كانت تتدفق بفواصل آهات غنجة على أوتار ذلك الجسد الأنثوي الجذاب، إنها زوجته فاطمة وقد حانت ساعة الحساب والانتقام من ذلك الوغد الذي سلبه أجمل ما يملك وأغلى من روحه نفسها، ولم يحس بشيء وهو يقفز بخطوة واحدة باتجاههما، لكن إحدى السيارات التي كانت تقطع الشارع كانت له بالمرصاد لتطيح به في الهواء قبل أن يستيقظ من نومه مستعيذاً بالله من الشيطان الرجيم ومن الجوارب وشرها

استيقظ فزعاً والعرق يتصبب من كل خلية من جسده، بينما كانت زوجته فاطمة تهنأ في نومها حتى الثمالة، كانت الساعة تشارف الرابعة فجراً عندما نهض ليلقي نظرة على رزمة الجوارب التي اشترتها له مؤخراً، وقد جهزت له بعناية أجمل جوربين للذهاب إلى الدوام في اليوم الأول لتعيينه نائباً على رأس تلك الوزارة العتيدة التي ناضل فيها طويلاً حتى وصل إلى تلك المسؤولية عن جدارة

اعتراف

عزيزتي لماذا غيرت رأيك وقبلت أن تتزوجيني؟!!!

دست المرأة الجالسة بجانب المريض يده بين أناملها، ونهضت مستوية على أطراف السرير بالقرب من رأسه، وكأنها تأخذ وضع الاستعداد رداً على سؤال يستحق الكثير من الاهتمام، إنها تتذكر كم تملصت سابقاً من تلميحات ما يشابه هذا السؤال، لكنها الآن ستستغل الفرصة للبوح بتفاصيل تعود إلى عقود خلت، خاصة وأن الرجل الممتد على السرير يعاني من مرض عضال، لم يتبق له سوى أيام معدودات قبل أن يغادر هذه الحياة كما يزعم الأطباء، وهي الآن في أمس الحاجة لتزليل عن كاهلها أسراراً طالما أثقلتها لتعيش ما تبقى من عمرها في طمأنينة وراحة ضمير، كانت تعلم تماماً المغزى من سؤاله، فقد ارتبطت معه في بداية صباها بعلاقة عاطفية جميلة لم تكلل بالنجاح، فما لبثت الغيوم أن تلبدت في أجواء حياتهما بقدوم ذلك الشاب الثري الذي اختاره والدها عريساً لها وهو جبران نجل أحد أصدقائه المقربين من رجال الأعمال البارزين، لم يستمر الزواج أكثر من عام، فقد توفي زوجها غرقاً وهو يمارس هوايته المفضلة

السباحة بينما كانا يستمتعان بوقتتهما على متن يخت أنيق في واحد من أجمل الشواطئ العربية، لقد فاجأها وهو يقفز في عرض البحر، ولم تكن تلك المرة الأولى التي ينطلق فيها سابحا في عرض البحر، فالسباحة كانت هوايته المفضلة وغالباً ما يغادر اليخت سابحاً الى البعيد قبل أن يعود، ولكنه في تلك المرة تأخر عن العودة ما أثار ريبتها لترسل بلاغا مستعجلا، وبعد ساعات انتشلت جثته قوات خفر السواحل، ليعلن التقرير الطبي أنه قد أصيب بنوبة قلبية مفاجئة في عرض البحر أردته صريعا، لتعود بعدها الى الحي منكسرة حزينة ،على مدى ستة شهور اعتكفت سندس في البيت لم تكن تسمح لأحد بزيارتها باستثناء صديقتها الوحيدة سعاد

وبما أن زوجها جمال الآن على حافة الموت، فلا بأس بمصارحته بأحداث طالما أخفتها عنه تؤلمها وتشكل نكته سوداء في علاقتها المتميزة معه، ولعله سيغفر لها ما خبأته عنه رغماً عنها من لوثة ماضيها التي لا يد لها فيها، قبل أن تعود إليه لتتزوج

الحقيقة هي أبسط ما يستحقه رجل على فراش الموت، عاشت معه أجمل سنوات حياتها واستعاضت به عن زواج سابق لم يكن لها بد من القبول به نزولاً عند رغبة والدها، رغم أنه كان على حساب قلبها ومشاعرها

الآن لا شك أنها ستحدثه بما جرى في تلك الليلة اللعينة التي استدرجت فيها إلى منزل صديقتها سعاد، وهناك وقعت مأساتها التي لم تنساها بعد مرور ما يقارب العقدين على حدوثها

لقد ظهر هيثم شقيق زوجها السابق بعد وفاته بأشهر لينقض عليها كالوحش، برر فعلته الشنعاء بالنار لأخيه الذي طالما أذاقه الأمرين في حياته وها هو يهتك عرضه بعد مماته، عادت إلى منزلها كبقايا أشلاء تجر جر بعضها المحطم، أحست بقشعريرة تغزو جسدها وتسحق كرامتها من جديد، وهي تستعيد ذكرى خيانة صديقة طالما أحببتها ووثقت بها

ولكن العدالة الإلهية كانت بالمرصاد للمتأمرين والمعتدين فقد سُحقت صديقتها بحادث مروري مروع بعد ثلاث سنوات من الخيانة، ولم تستمتع بحياتها مع ذلك العشيق الذي أغرمت به وهربت معه، لتصيب أهلها بوصمة العار الذي لاحقها حتى بعد موتها، فلكان موتها مجرد خبر عابر، سرّ الكثيرون وفتح النار على علاقتها مع ذلك الحقير هيثم الذي هربت معه

برفق ضغط الرجل المريض بيده على أنامل المرأة التي تحدثه بينما تنحدر دموعها من خديها بغزارة، انسلت بهدوء لتخرج من خزانها مذكرات كانت تحتفظ بها لتريه أنها وفي اليوم الذي سبق مؤامرة صديقتها سعاد وهيثم، كانت قد أرسلت إليه جواباً على رسائله التي كان يرسلها لتعزيتها ومواساتها والتي لم تكن حالتها النفسية تسمح لها بالرد عليها، لكنها أخيراً قررت أن تخرج من أحزانها وتبدأ حياتها من جديد، فأرسلت إليه الرسالة مع سعاد لكنها عرفت مؤخراً بعد انكشاف المؤامرة أنها لم تصل وقد أعادتها إليها سعاد بنفسها كي تضاعف من آلامها، إنه الحقد الأعمى على أية حال ظهر من صديقة كانت تأتمنها على أدق تفاصيل حياتها، إنها لا تزال تحتفظ بالرسالة من ذلك الحين، أخذ الرجل يحرق في ذهول بالرسالة وهو يغمغم بكلام غير مفهوم

واصلت المرأة حديثها المتهدج لتؤكد له أن تلك الحادثة لم يعد لها مكان في حياتها منذ اختارت الارتباط به، وكان إلحاحه عليها بالزواج بعد فترة قصيرة من الحادثة، طوق النجاة الأخير لحياتها البائسة التي كادت تنتهي في لحظة ضعف إنساني فكرت فيها أن تنتحر وتنتهي حياتها، ودموعها تسيل على خديها توسلت إليه أن يسامحها على إخفاء أمر تلك الحادثة التي كانت قد دفنتها في زاوية مهملة من ذاكرتها

بإشارة من يده أوقفها عن الاستطراد في الكلام، ولبرهة ظل صامتا، وظلت هي تترقب منه حديثا سيكون مفصليا لحياة عاشاها في سعادة

لم يطل انتظارها، أطل ذلك الصوت الجهوري والأجش وإن كان واهنا هذه المرة، ليعلن في هدوء ووقار كامل أسفه عما جرى لها في تلك الليلة في منزل صديقتها سعاد، ما يدهشها أنه على فراش المرض الذي لن ينجو منه، ها هو يبدو رجلا رائعا لم يتنازل قط عن رباطة جأشه، ولم يفرط في رزاقته وهدوئه، ستظل على الدوام منذ عرفته في المرة الأولى أسيرة لشخصيته الرائعة تحترمه وتجله، لكنها الآن ستضطر لتتصت بإمعان وتتنازل عن تأملاتها، خاصة وقد أغمض عينيه وبدأ سرد الحكاية:

بعد وفاة زوجها السابق حاولت جاهدا التواصل معك لمواساتك، لكنك لم تستجيب، لم يكن أمامي سوى قنواتك الوحيدة للتواصل صديقتك سعاد، وفجأة وفد الى حيننا هيثم أخو زوجها السابق جبران وربما بسبب زيارته المتكررة إلى منزلكم، أولا أدري... انتشرت شائعات حول قصة حب بينكما و تحضير للزواج، فجأة وجدت نفسي في علاقة صداقة معه بعد أن زارني الى منزلي برفقة سعاد، وأغرق معهما في تفاصيل حياتك كان يتحدث هو وصديقتك سعاد عن وقوعك في غرامه، وهذا ما أعماني عن رؤية الحقيقة في حينه، رغم أن الحديث كان يتوازي مع حقه عليك زاعماً أن لك يد في مصرع أخيه، حاولت النأي بنفسي وعدم تصديق ما

يقال وصمت على مواصلة التواصل بك عن طريق سعاد التي أقنعتني عن ميلك لهيثم ومقتك لي كما كانت تزعم، ونصحنتي أن أبتعد عنك لكني لم أستسلم، قبل أيام قليلة على الحادثة، صمت على مقابلتك ومواجهتك للإفصاح لك عن كل شي وتحذيرك من هيثم الذي لم تكن نيته سليمة تجاهك، وأرسلت برسالة عاجلة لك لمقابلي وعادت سعاد حانقة كما زعمت حينها، و أخبرتني بكلام جارح أطلقته بأني اسعى لإفشال علاقتك بهيثم من دافع الغيرة والحقد عليه، أخذ نفساً عميقاً وبعدها أطلق سعالاً جافاً متواصلًا، كانت إحدى نوباته المرضية، حاول جاهداً تجاوزها، بعد فترة قصيرة من الصمت واصل حديثه:

لا أدري إن كانت هذه التبريرات كافية لأخبرك بأني وفي تلك الليلة قد عرفت بتلك المؤامرة القذرة ضدك

وتنحني أقصد.. وتحجرت عيناه كمن ينظر الى البعيد وملامحه المنهكة أصبحت أكثر ألماً:

في الليلة التي سبقت الحادثة جاءت سعاد وبرفقتها هيثم ووضعت كل الأفكار على الطاولة بوضوح، هيثم يريد الانتقام منك بعد أن تأكد أنك مسئولة عن موت أخيه من خلال علاقته بك وتحرياته الخاصة

سعاد ستقوم بدورها المهم ضد صديقتها المجرمة التي قتلت زوجها السابق جبران، وأنا ذلك المغرم الذي جرحته كرامته و يتلوى من الألم والصمت سيكون وأنت يجب أن تدفعي الثمن وكانت الخطة تقضي باستدعائك في اليوم التالي إلى منزل سعاد، ومن ثم يقوم هيثم باصطيادك، لقد عرفت كل ذلك بمحض الصدفة، في تلك الليلة كنت بالقرب منهما في الغرفة المجاورة لذلك البناء القديم، حيث يلتقيان ويقومان علاقتهما الآثمة كذلك، لم أنم وأنا أفكر، كنت ممثلاً غيظاً وحقداً عليك، لذا وعدتهما بالانسحاب بعد أن عرفا بمكاني وأني قد عرفت كل شيء، وسافرت في

تلك الليلة، لكن ما ظل يحز في نفسي أن ذلك الوغد هيثم قد تجرأ ليدعوني إلى مشاركته الجريمة التي سירתكبتها

بعد فترة من النشيج تماكنت سندس نفسها لتستطرد:

ألمقد سمعت ساعة الحادثة حوار أبين سعاد وهيثم فهمت منه وجود طرف ثالث لكني لم أكن أتخيل أن يكون ذلك الشخص هو أنت، لقد كنت انظر إليك أنك أملى الوحيد للعبور، ولو كنت علمت حينها أنك كنت مشتركا معهم بالتآمر ضدي كنت نفذت ما عزمت عليه من ... وترددت قبل أن تواصل وهي تنطق الكلمة ببطء مصحوباً بتردد: الانتحار

كانت تنتحب وهي تدس وجهها بين يديها لكنها عادت للاستماع الى رواية زوجها:

بعد خمس سنوات عاد هيثم، وكنا قد سمعنا عن وفاة سعاد في حادثة غامضة قبل سنتين من عودته

بطبيعة الحال لم يكن ليخفى علي سبب قدوم ذلك التافه الشرير، وقد قابلته لأطلب منه ان يدعنا وشأننا ولكنه هددني أن يخبرك بأنني كنت شريكهم الثالث في الحادثة

كان قد مر على زواجنا خمسة أعوام فقد تزوجنا بعد الحادثة مباشرة، وقد تقدمت للزواج منك، بعد أن رجعت سريعاً من سفري لأكفر عن ذنبي، وأتقدم إليك مباشرة في شجاعة، كنت أتمنى لو تحليت بها في السابق، وكنت قد قررت أنها ستكون محاولتي الأخيرة قبل أن أغادر القرية نهائياً بلا عودة، لكن تلك المحاولة تكللت بالنجاح

تدلى رأسه فوق صدره وتشتت نظره الى المجهول قبل أن يواصل حديثه:

لقد كنت مطلعاً على تلك الحادثة ولم أستطع الابتعاد لقد قررت العودة والاعتراف لك، ومع اختفاء هيثم وسعاد وموافقتك الزواج، رأيت أنه من الحكمة عدم البوح بما صار

زفرت سندس بحرقة:

يجب أن تعرف أن مشاعري تجاهك منذ الصبا كانت صادقة، ولم تتغير في أي وقت من الأوقات، وأنني كنت موافقة الزواج منك في كل الأحوال لكنني لم أكن أستطيع مخالفة والدي، وكل ما تحدثت به تلك الخائنة سعاد مع ذلك الوغد هيثم عن علاقة ما مع هيثم محض افتراء لقد كنت أكره هيثم لعلمي أنه كان وراء الأزمة القلبية التي ألفت بأخيه جراء أعماله الشنيعة، ولطالما أذاقه الأمرين بسبب تصرفاته الحمقاء

أشار بيده لقد تأكدت من هذا بعد الحادثة بفترة قصيرة ولا غبار عليك يا عزيزتي، ولولا غبائي لكنت عرفت حينها أنني المستهدف معك أيضاً، لأنهم كانوا أصلاً يعلمون مدى حبي المزمّن لك، كما كان هيثم يعرف عن ضعف شخصيتي أيضاً وهذا ما يجب علي أن أعترف به إليك الآن ولولا ذلك لما ارتكبت تلك الجريمة بحقك، إنها الأقدار

عاد هيثم بعد سنوات خمس عشنا خلالها أجمل الأوقات السعيدة، عاد يحمل الشر والحدق كان مصمماً أن يرتكب جريمته الثانية معك، ولم يكن يبالي بأي اعتبار لزواجنا لقد وصل في غطرسته ووقاحته درجة من الجنون، حدثني بكل غرور وسفالة أنه اشتاق إليك كثيراً، وعاد كي يقضي معك وقتاً ممتعاً، وأن سعاد لم تكن بالدرجة التي تقارن معك، كما حدثني صراحة عن تخلصه من سعاد

طلب مني الوقوف على الحياد، بل إنه كان ممثلاً بالوقاحة وكذلك الغباء ليطلب مني ذلك الطلب السخيف، أن أقف على الحياد، هذا إن لم أسهل له نيل وطره، ليذهب بعدها بسلام ويدعنا وشأننا في أمان، حينها فقط علمت

بمقدار تفاهتي في هذا العالم من خلال نظرة هيثم إلي، لقد كان هيثم صادقاً في تعامله معي، فأنا لم أكن سوى ذلك الجبان المخدول الذي ترك حبه وحلمه، ليضيع ويتسرب من بين يديه، إن الرجل الذي لم يبذل من الجهد ما يجب من أجل من يحب وما يحب، سيعيش ما تبقى من عمره كالقشة بدون وزن، وعليه أن يكون مستسلماً للتيارات التي ستتقاذف به دون رحمة، أضعف التيارات الهوائية لن تقيم وزناً لتلك القشة مهما توسلت، هيثم عين العاصفة الهوجاء كان يعلم أنني مجرد قشة، وقد سلمت مقاليد حياتي بسهولة إلى أخيه بمبررات شرعية النصيب والحظ في الزواج، وسمحت لاحقاً بأن يعبث هو بحياتي ولم يكن بحاجة إلى منحي حتى المبرر أقتات منه نزيف كرامتي الحاد جراء خذلاني حبي الوحيد، لقد عشت تحت مطرقة الذل والقهر طوال السنوات الخمس الماضية، وها هو يعود في هذه المرة ليدوس كرامتي دون أن يرف له جفن، وهل للعاصفة العاتية أن تعطي أدنى اعتبار لقشة مثلي، إنه يعرف تماماً شخصيتي الضعيفة وروحي المهزومة ويعاملني على هذا الأساس

أخذ نفساً عميقاً قبل أن يتابع:

بطريقتي الخاصة كنت أراقب عن كثب اتصالاته بك وتهديداته التي كان يرسلها إليك

نعم لقد كنت أعرف كل شيء من حيث لا تشعرين، وما كنت لأدع ذلك الذنب البشري أن يسلبني أجمل ما في حياتي كلها مرة أخرى، مهما يكن الثمن

حتى كان ذلك اليوم الذي رضخت فيه للاقائه

أي يوم تعني، آه أنت تعني ذلك اليوم اللعين

نعم ذلك اليوم الذي عدتي فيه متأخرة، وأنتِ ترتجفين والعرق يتصبب
منك قبل أن تسقطي طريحة الفراش لأيام، إنه اليوم الذي سقط فيه هيثم
صريعاً

آه هل كنت تعرف هذا...تلعثمت في حديثها

لكنني لم أقتله، أجهشت بالبكاء

وأحست بقشعريرة باردة تسري في كل خلية من جسدها وهي تجفف
دموعها: لم أقابله في ذلك اليوم..، أقصد حياً، نعم لقد كنت مصممة على
الثأر لشرفي، وقد أخذت خنجراً للنيل منه، لكنني عندما ذهبت وجدته
مضرباً بدمائه، هذا ما حدث

وفي تحدٍ شمخت برأسها وهي تضغط على الكلمات لتستمر في حديثها:
لم أكن آسفة على ما جرى له، حتى وإن فعلتها...، مد يده مهدئاً من
روعها، احتضنتها بأناملها الرشيقة إنها تفهمه تماماً، وتفهم ما يريد ذلك
الرجل العظيم بهدوئه وصبره وحلمه

إني أصدقك

كانت هذه الكلمة السحرية التي بلسمت جراحها وتابع في هدوء:

وهذا ما أود أن أنهى اعترافي به من أحداث ذلك اليوم، لم أكن أملك الخيار
لقد ذهبت اليه فقط لأطلب منه الابتعاد عن حياتنا التي قررت أن أدافع

عنها حتى النهاية مهما يكن الثمن، وألا اتركك فريسة له مرة أخرى كانت
تحقق إليه في ذهول وهي تقول:

هل تعني أنك من أرديته

أعني أنني كنت أعلم ما تنوين فعله، لكنها معركتي وعلي جسمها، ذهبت
إليه قبل موعدكما بساعة تماماً ولكنه كعادته كان مغروراً ومتغطرساً
ووقحاً، وعندما تمادى في وقاحته وبعد أن ضربني محاولاً أن يشد وثاقي
لأشاهد ما سيفعله بك كما كان يتوعد، عندها طفح الكيل وأرديته مضرجاً
بدمائه، عدت سريعاً إلى المنزل كي أحذرك من الذهاب، ولأخبرك الحقيقة
كل الحقيقة لكنني لم أجذك

وعندما عدت كنت قد قررت نسيان الأمر إلى الأبد
أغرقت يده بالدموع وهي تقبلها، تابع الحديث:

الغريب في الأمر أنني لم أكن من أجهز عليه، كنت قد دفعته بقوة إلى
العمود ليسقط وقد شج رأسه، ولكن التقرير الطبي للبحث الجنائي قال في
محتواه أنه تعرض لخمس طعنات نجلاء كانت السبب في مصرعه

نظر إليها نظرة ذات مغزى وقال بصوت واهن: لقد تخلصت من ذلك
الخنجر اللعين الذي وجدته لاحقاً في منزلنا وآثار دماء ما زالت تغطيه،
وتابع مبتسماً في شحوب: لا شك أن أحدهم كان ينوي الزج بنا في متاهة
لا ناقة لنا فيها ولا جمل

ما بين ملامح الابتسام والدهشة التي غطت قسمات وجهها الجميل، هطلت دموعها كالمطر وهي تحتضن زوجها بامتنان، رفع يده ليربت عليها في حنان وهي تغغم: كما أخبرتك لم أكن آسفة على ما جرى له

عشرة أعوامٍ مرت على هذا الحديث الاستثنائي بين جمال الذي كان يرقد منهكاً من مرض عضال وزوجته سندس التي كانت ترافقه في أصعب ظروف مر بها، تعافى جمال رغم تقارير الأطباء، وعاش حتى هذه اللحظة التي يجلس فيها لمرافقة زوجته، والدّة أطفاله الثلاثة التي ترقد طريحة الفراش في نفس المستشفى والغرفة التي كان ينزل فيها قبل سنوات، لكنه الآن في كامل صحته بجانبها يحتضن يدها برفق، ويستعيد تفاصيل تلك الليلة، ليلة الاعتراف الذي زاد توثيق عرى المحبة فيما بينهما.

صدى النبوءة

بداية الفصل الدراسي الأول للمستوى النهائي في الكلية كان مليئاً بالمفاجآت بالنسبة للطالبة سارة، حتى مالم يخطر لها على بالها ها هي تقع في حباله، فبينما كانت مع زميلتها ريناد تجوبان شوارع العاصمة بعد أن أكملتا محاضراتهما لذلك اليوم، إذ استوقفتها تلك الجلبة وإذا بهما وجهاً لوجه مع العرافة الشهيرة، وكان للفضول دوره في دفع سارة أن تلتقط الأحجار الملونة الغريبة وترميها إلى الأرض، لتبدأ رحلتها مع تنبؤات العجوز الشمطاء، وبعد حيرة وتقليب نظراتها بين الأحجار وسارة تحدثت العرافة:

- أمرك محير أيتها الفتاة، عواصف في حضرة البراكين، ورياح في عين الشمس، صعود وهبوط، أمواج متلاطمة، وبالقرب من تحقيق أحلامك، تتغير الملامح وتتبدل هيئة فارس أحلامك، وستتزوجين بمن لا تحبين، كلا لست متأكدة، الويل للطغاة بعد الاستضعاف، الويل منهم ولهم.... وضعت العرافة يدها على صدغيها كأن صداًع يداهما غمغت:
- حتى أنا لم أعد أعرف شيئاً، اذهبي أيتها الفتاة من أمامي، قلت اذهبي .. اذهبي

في اليوم التالي لتلك النبوءة المشؤومة، انتهت المناظرات الكلامية بين إبراهيم وصادق بأن ضرب صادق إبراهيم على وجهه أمام جميع الزملاء، وكانت سارة ضمن الحاضرين

منذ العام الأول وصادق وإبراهيم لا يتفقان، هذا كان المشهور بين الطلاب، وغالباً ما كانت المناظرات الكلامية بينهما تنتهي بتناول لفظي من قبل صادق على إبراهيم، بينما ينتصر إبراهيم بأخلاقه الرفيعة

وترفعه عن الإجابة بنفس الأسلوب الهمجي لصادق، لكن الأمور لم تصل إلى هذه الدرجة من السوء من قبل

لم يرغب عن سارة السبب الذي دفع ابن عمها صادق لارتكاب هذه الحماقة في حق زميله إبراهيم، فمنذ يومين وصادق يهددها في حال تحدثت مع إبراهيم بأنه سوف يتصرف بحزم، لكنها لم تتوقع أن ينفذ تهديده، خاصة وأن حديثها النادر مع إبراهيم كان بغرض التنسيق للدفعة الطلابية كون إبراهيم مندوب الطلاب كما تم ترشيحها مؤخراً مندوبة عن الطالبات، وبينما كان إبراهيم يحظى باحترام جميع الطلاب لأخلاقه العالية وتعاونه مع جميع الطلاب فضلاً عن كونه الأول على الدفعة، كان على العكس من هذا صادق المتكبر والمتعطرس على زملائه، و من يرى أن من واجب الجميع أن يكونوا رهن إشارته، لذلك لم يكن يلتف حوله سوى شلة من المنفعين والمنافقين، وغالباً ما كان صادق سبب إحراج لسارة أمام زملائها لأنه خطيبها أولاً وابن عمها ثانياً

لم تتوقف الأمور بين صادق وإبراهيم عند هذا الحد ولكن تعدته الى الزج بإبراهيم الى السجن تحت دعاوى كيدية سياسية بالانتماء والترويج لأفكار جماعة كانت الدولة تشن الحروب ضدها في ذلك الوقت، كان لوالد سارة الفضل في إخراج إبراهيم من السجن حيث كان يشغل منصباً رفيعاً في الدولة، كانت ردة فعل سارة أن تحررت من خطبة ابن عمها صادق كردة فعل طبيعية على تصرفاته غير اللائقة معها لكثرة الأوامر التي كان عليها أن تتلقاها منه مطيعة دون نقاش، ولأنها لم تكن راضية عما فعله صادق بإبراهيم والزج به في السجن دون وجه حق، مستغلاً سلطته كونه أحد الضباط في الأمن القومي، ويشغل فيه عمها والد صادق منصباً رفيعاً

تسارعت الأحداث بشكل غير متوقع في ذلك الفصل الدراسي وفي نهايته، اتخذت سارة قرارها النهائي والمصيري و تمت خطبتها على

إبراهيم، ولذلك كان الفصل الثاني ساخناً رغم برودة وهدوء إبراهيم ومحاولته قدر المستطاع التعامل بضبط النفس مع استفزازات صادق المتكررة، وقد شكل نفوذ صادق من خلال أسرته التي تتمتع بنفوذ في الدولة وكذلك بسبب انتمائه شخصياً لأهم جهاز أمني في الدولة، عاملاً حاسماً لأن تميل كفة الصراع غير المتكافئة لصالحه، فقد داهمت قوة من مكافحة الإرهاب حرم الجامعة للقبض على إبراهيم، ولولا الحظ الذي حالفه وما بذلته سارة مع زميلاتها من دور بطولي لمواجهة تلك القوة لوقع إبراهيم في قبضتهم بكل سهولة ويسر، عندما ودع إبراهيم سارة خيراً أن تكون حرة من الارتباط به لأن هذا هو ما يدفع ابن عمها إلى الجنون وربما سيدفعه إلى ارتكاب حماقة ضدها، لكنها عاهدته على الإبقاء على علاقتها المقدسة معه مهما يكن الثمن

قبل أن يكمل إبراهيم دراسته، وبالتحديد قبل الاختبارات النهائية للفصل الأخير في مشواره الجامعي للعام ٢٠٠٩ غادر إبراهيم صنعاء متخفياً ومتجهاً صوب الشمال حيث كانت رحي حروب ضروس تشن على أهالي تلك البلاد ما أنتج مقاومة مسلحة حققت انتصارات مهمة، بعد أن احتضنها المجتمع في شمال الشمال والتحم معها ليشكل درعاً واقياً لها

مع أحداث الثورة التي مرت بها البلاد في العام ٢٠١١ كانت عودة إبراهيم إلى صنعاء، غير أنه لم يبرح ساحة التغيير وبقي لفترة قصيرة من الوقت، قبل أن يعود أدراجه ثانية إلى الشمال، لقد أصبح أحد القادة البارزين في الحراك الشبابي ولكن بصفته أحد أبرز المطلوبين للنظام فلم يكن من المناسب أن يبقى في صنعاء، بعد التطورات السياسية التي حدثت وعودة المياه إلى مجاريها بين القوى السياسية المتصارعة واتفاقهم على التوقيع على المبادرة الخليجية

في العام ٢٠١٤ - ٢١ سبتمبر، وكأبرز القادة الميدانيين للثورة تم دخول إبراهيم إلى صنعاء على رأس القوة العسكرية التي اجتاحت العاصمة،

وقد تم وصول إبراهيم رئيساً لأهم جهاز أمني في البلاد، وعلى الفور كان على إبراهيم أن يتواصل مع خطيبته سارة، وكان اللقاء في أحد المطاعم الكبرى في العاصمة ومع ذلك اللقاء كانت صدمة سارة وهي تشاهد حال إبراهيم التي تغيرت بشكل جذري، وبغض النظر عن المتفجرات والقنابل التي يطوق بها نفسه وذلك المدفع الرشاش المصغر الذي يحمله مع تلك البذاعات التي كان يرسلها عبر جهاز اللاسلكي لإلقاء الأوامر، لكن فضلاً عن ذلك فتعامله الفظ واللا أخلاقي لم يقتصر على أتباعه فحسب بل تعداهم الى كل من يتورط في التعامل معه حتى ذلك المسكين عامل المطعم كاد أن يفتك به لولا أن توسلت إليه سارة بتركه

منذ عادت سارة إلى منزلها والقلق حليفها تجاه إبراهيم، لكنها طردت تلك الوسواس ونسقت له موعداً للقاء والدها في منزلهم، كتيبة من المرافقين حضرت مع إبراهيم اللقاء الذي كان عاصفاً، تلفظ فيه إبراهيم بألفاظ نابية على سامي أخو سارة بعد ان اختلف معه في الرأي، ولم يقم لوالد سارة أي اعتبار وصوته يجلجل ملأ البيت، ولم يقبل من أحد أي معارضة له في آرائه التي كان يعتبرها مقدسة، لقد كان إبراهيم مستفزاً الى الحد الذي جعل والد سارة يقول لها:

- سبحان مغير الأحوال من حال إلى حال

وعندما سألته سارة عن إبراهيم وهل تحدث معه بشأنها

- لقد تحدثت عن كل القضايا في العالم إلا عن قضيته

وفي المرة الثانية التي حضر فيها إبراهيم، لم يزد على إعطاء أوامر حول العرس ومتطلباته ما استدعى امتعاض أهل سارة، وحديثهم عن مدى تكبر وغرور إبراهيم، ولم تفلح محاولة والد سارة في تبسيط الأمر لسارة لكيلا يفطر قلبها فيمن تحب وترغب الزواج به، فسارة نفسها

كانت مضطربة وقلقة من خلال معرفتها شخصياً بسلوك إبراهيم الذي يعكس توحشاً وحالة غير طبيعية

أخبرت سارة إبراهيم أنها تريد مهلة قبل إقامة العرس، سكت إبراهيم ولم يجب وقتها، وقد ترجم إبراهيم ذلك الصمت الغضوب بعد يومين باعتقال صادق ابن عمها، وعندما ذهبت سارة مع صديقتها ريناد زوجة صادق لتشفعان لإطلاقه، أعطاهما إبراهيم محاضرة عن حب الوطن كانت مليئة بالسخرية والاستهزاء، ازداد موقف سارة تشدداً ضد إبراهيم وأصبحت قضية الارتباط به تحت المجهر تدرس بعناية، لكنه لم يمهلهما وإذا بها تفيق ذات يوم وقوة عسكرية تحيط بالمنزل لتختطف والدها، ذهبت سارة الى مكتب إبراهيم وقد مُلئت حنقاً وغيضاً لكنه لم يسمح لها بالدخول لمقابلته، استمر والدها في المعتقل لمدة شهر ثم تم الإفراج عنه، بينما استمر صادق في السجن لا يعرف أهله عنه شيئاً، بعد أن خرج من السجن لم يلبث رشيد والد سارة سوى بضعة أيام انتقل بعدها الى رحمة الله، بالرغم من كل ذلك ظل إبراهيم يطارد سارة بحثاً عن رضائها وإعادة العلاقة بينهما لإكمال ارتباطهما المقدس، إلا أنها كانت قد حسمت أمرها باستحالة الارتباط به مهما يكن الثمن

محاولات إبراهيم الأخيرة في إقناع سارة بألا علاقة له باعتقال والدها كانت تبوء بالفشل لأنها كانت مطلعة على الحقيقة، استمرار إبراهيم بمطاردة سارة ومحاولة إخضاعها بالإكراه لم تجد نفعاً كذلك، وقد تعرض إبراهيم لصفعة مدوية على وجهه عندما عرض إطلاق صادق مقابل الزواج منها، حدث ذلك في آخر مرة التقت بإبراهيم، حيث ذهبت مع صديقتها ريناد لتتشفع في إطلاق صادق مع زوجته ريناد رحمة بطفليته الصغيرتين، وفي ذروة ذهوله من الصفعة التي سقطت على وجهه كالصاعقة هتفت في وجهه:

- لم أكن أتصور أن السلطة لها كل هذه القدرة على تغيير البشر

بعد وفاة والدها وعلى الرغم من أن الوضع ازداد سوءاً من خلال تمادي إبراهيم مع سارة، إلا أنه لم يستمر طويلاً على هذا الحال، فبعد عدة أسابيع تم إطلاق صادق من السجن بعد أن تمت إقالة إبراهيم من منصبه وإيداعه السجن لبضعة أشهر قبل أن يطلق سراحه

بعد أن قامت سارة بتوصيل ريناد الى مستشفى الأمراض النفسية لزيارة زوجها صادق، أخذتها معها في جولة بسيارتها وإذا بها تنزل من سيارتها لتذهب باتجاه ذلك المجنون الذي يلتحف بقايا قطعة من قماش ويفترش الأرض، بدى على محيا المجنون السرور وسارة تحدثه وبعد أن أعطته طعاماً عادت أدراجها الى السيارة لتلتفت الى ريناد: هل عرفتى هذا المجنون؟

لا، لا أعتقد

إنه إبراهيم وقد تواصلت مع طاقم مستشفى الأمراض النفسية لأخذه ومعالجته وقد أقنعتة بضرورة العلاج، إنه يستمع إلي وسوف أقوم بالإشراف عليه حتى يتحسن

- بعد كل ما فعله بك

- هو نفسه ضحية، كلنا ضحايا

بعد أن تأملت ريناد المكان الذي يفترشه إبراهيم، كانت دهشتها مصحوبة بشهقة وبعد قليل من التريث:

هل تعرفين المكان الذي يجلس فيه إبراهيم

قطبت سارة حاجبيها في استغراب

ريناد: إنه نفس المكان الذي كانت تجلس فيه العرافة

هنا صاحت سارة من الدهشة:

ريناد: نعم قبل سبع سنوات لقد تحققت النبوءة

سارة: يا للنبوءة المشؤومة لكنها لم تتحقق تماماً، فأنا لن أتزوج إلا من أحب مهما يكن الثمن، ضحكت ريناد ضحكة مصطنعة اصطبغت في آخرها بشحوب ونظرات الى المجهول

- من يدري يا صديقتي أو يزعم أنه يدري فهو واهم

وهبط صمت ثقيل أعاد كلا الفتاتين إلى قعر سحيق، إلى هاوية المجهول.

الراعية

كانت ابتسام مجرد راعية، كل ما كان يشغلها هو أغنامها، وكيف يمكن أن تحظى بمزيد من الاهتمام والمزيد من المراعي الخصبة، حتى زواجها المقرر بعد شهر لم تكن لتكثر به لولا اقتراب الموعد فعلاً، وتحفيز والدتها للعناية بعرسها، وهذا يتطلب التفرغ لشراء ما يلزم العرس من كسوة للعروس وغيرها، وقد كانت والدتها على أهبة الاستعداد للسفر معها الى صنعاء للقيام بالمهمة.

ابتسام هي ثالث ثلاث من التوائم لأسرة زراعية متوسطة الدخل، وقد اشتهرت التوائم الثلاث بالذكاء والجمال الباهر الذي لا يوصف، وبينما واصلت ريهام وأحلام مسيرتهما الدراسية توقفت ابتسام بعد أن نالت الشهادة الأساسية بتقدير جعلها ضمن أوائل المحافظة والأولى على المديرية، متفوقة على شقيقتها، لكنها لم تكن تجد في الدراسة شغفها، ولم يكن هذا هو الفارق الوحيد الذي تختلف فيه ابتسام عن شقيقتها، فقد كانت أكثر مرحاً وفطنة وشجاعة، الى الحد الذي كانت تذهب لأحراش حول القرية تتهيب الوصول اليها بقية صديقاتها الراعيات، ضمن هواياتها الغريبة كانت ابتسام مهووسة بجمع الثعابين وعمل بعض الدعابات لأسرتها وصديقاتها

لكن الحق قد حصص أخيراً وعليها أن ترضخ لمتطلبات الزواج الذي ظلت تماطل فيه طويلاً، فشقيقتها قد أكملتاً توأ اختبارات الشهادة الثانوية، ولم يعد من المجدي تأجيل خطوبتها الممتدة لعام، وعلى غير المعتاد في اجتماع الحظ والجمال، كانت ابتسام استثناءً كما كان يتحدث جميع أهل القرية فقد تمت خطبتها على أحد أبناء القرية الذي ينتمي الى إحدى الأسر الثرية على مستوى البلاد بأكملها، كانت تلك الأسرة تمتلك ما يشبه القلعة في منطقة منعزلة وهي قرية من منطقة الأحراش والمراعي الخصبة

كان على أحلام أن تذهب بالأغنام الى منطقة المراعي في تلك الفترة التي سافرت فيها ابتسام مع والدتها الى صنعاء لشراء مستلزمات العرس، ولم تكن أحلام لتستطيع أن تسيطر على الأغنام التي كانت تتوغل في الأحراش كما جرت عليها العادة، اضطرت أحلام أن تتوغل مع الأغنام الى منطقة الأحراش، كما اضطرت صديقتها إيمان الخبيرة في المراعي إلى تركها في ذلك اليوم ومتابعة أغنامها في منطقة أخرى قريبة، وكان على إيمان أن ترجع في منتصف النهار لتصحب أحلام معها لتعود بها الى المنزل، خاصة وأنها شقيقة صديقتها الأثيرة لديها ابتسام التي كانت قد أوصتها كثيراً عليها، كان وقع الصدمة مهولاً على إيمان عندما وجدت صديقتها أحلام مضرجة بدمائها وقد تمزقت ثيابها، كانت فاجعة حلت على أهالي القرية وعلى أسرة أحلام بشكل خاص، وفي رحلة البحث عن الجاني كانت شهادة إيمان الوحيدة التي ألغيت لاحقاً من المحاضر الرسمية، بأنها رأت سامي خطيب ابتسام خارجاً من الأحراش وهو في وضع مرتبك، لكن دخول إيمان في ما يشبه المرض النفسي وحالة من الاكتئاب،

وكذلك اثبات تواجد المتهم في مكان بعيد عن الحادث أدى الى
عدم اكتمال القرينة وتجاهلها تماماً

بدأت عائلة ابتسام النجاح في تجاوز المأساة التي حلت عليها
فبينما سافرت ريهام الى صنعاء لإكمال دراستها البكالوريوس
في الطب، عادت ابتسام إلى الرعي لكن بدون صديقتها إيمان،
وهي في هذه المرة كانت دائماً تتوغل للرعي في الأحراش، وقد
ازداد اهتمامها بأصدقائها الثعابين حيث كانت تقضي معها أوقاتاً
سعيدة تلاعبها وتعتني بها

بداخل تلك الأحراش وعلى مقربة منها كان سامي في تلك
القلعة شبه المهجورة يعيش الكآبة التي اجتاحتها إثر الفاجعة التي
حلت، وشيئاً فشيئاً نجح في إعادة المياه الى مجاريها والفوز
برضا شقيقة خطيبته التوأم كما كان يتصور وكما أوهمته ابتسام
نفسها، غير مدرك لحقيقة الأمر وأن من قضت نحبها هي
أحلام، وليست خطيبته السابقة ابتسام، ولعقدته من الثعابين لم
يكن يأمن إلا بالقرب من الراعية الشجاعة، حيث تختفي
الثعابين من أمام ناظريه، بدأت ابتسام سامي بالعودة لتعيد
البهاء الى محياه، لكن الاضطراب والقلق لم يبارحه فما جرى
لابتسام ما يزال يشكل عائقاً للولوج الى قلب شقيقتها
أحلام (بحسب تصويره للشخصيات) ولو أنه لم يكن يلوح أي فرق
من ناحية المظهر بينهما سوى أنها أكثر تفكيراً وغموضاً،
وتصرفاتها تدعو للريبة وليست جادة معه كما كان يحدث سامي نفسه

كان سامي قد دخل في حالة من الاكتئاب بعد الحادثة التي
وقعت ، ما دفعه أن يترك دراسته في الماجستير ليبقى في
ذلك المنزل الريفي المهجور، لقد حدث ابتسام عدة مرات

يكن هناك في وقت الحادثة، وأنه كان منشغلاً في صنعاء لإعداد عدته للزفاف، وقد وقع في صدمة أدخلته في حالة نفسية شديدة لم يبدأ في التعافي منها الا بعد أن رآها مؤخراً، لقد وجد فيها نسخة من ابتسام التي كان يحبها بل يقدسها، وهو يحدثها عن مشاعره، كانت عيناه تفيض بالدمع، لكنه لم يكن يجد من ابتسام سوى التظاهر والتلاعب به، بالرغم من أن حديثه كان يتطابق مع التحقيقات التي أجريت وأكدت وجود سامي في صنعاء وقت ارتكاب الجريمة، لكن ابتسام التي كانت تتعاهد ايمان بالزيارة والتأكد من شهادتها بأنها رأت سامي وهو يخرج من الأدغال، لم تكن تأبه لحديث سامي وكل ما كان يهتمها هو الانتقام لشقيقتها أحلام، وقد وجد سامي مؤخراً صريعاً بلدغة ثعبان في عنقه وفي نفس المكان الذي قتلت فيه أحلام

بالرغم من تقرير الطبيب الشرعي الواضح، إلا أن شخصاً واحداً لم يكن ليقنعه ذلك التقرير، وقد تأكد من طريقه الخاصة حول مسؤولية التوأم الأخرى في الجريمة، لذلك ما إن بدأت الدراسة في كلية الطب بعد الإجازة السنوية، حتى كانت ريهام التوأم الثالث محط اهتمام الأستاذ الجامعي في الكلية الذي أحاطها بكل الرعاية والاهتمام، كان هذا الأستاذ هو علاء، شقيق سامي التوأم الذي كان يعمل معيداً في كلية الطب ويدرس الماجستير في نفس الوقت، بعد فترة قصيرة تلقت عائلة ابتسام مصيبتها الثانية فقد أعلن عن وفاة ريهام إثر تسمم حاد مزق أمعاءها

لكل شخص طريقته في الهروب من مشاكله وأحزانه، وقد اندفعت ابتسام أكثر الى الانعزال والاهتمام بأغنامها والتسلي مع الثعابين التي ألفتها الى حد أنها فكرت في العيش معها في تلك الأدغال والأحراش الموحشة، والانعزال عن القرية تماماً

لم تستيقظ ابتسام من غفوتها وسط الأحرار إلا وهي في بهو ذلك
القصر المنيف لتلك العائلة الثرية، وقد تفاجأت الى الحد الذي
ظنت فيه نفسها مكبلة في الجحيم وهي تشاهد أمامها سامي الذي
انتقمته منه لأختها وقتلته عن طريق صديقتها الكوبرا

كانت مكبلة بقوة الى مقعد حديدي في بهو واسع خال من الأثاث
سوى من ذلك الوجه الشامت والساخر وفي يده كانت خرقة
بيضاء ورائحة البنزين التي كانت تملأ المكان لا شك أن
مصدرها ذلك الإناء بجانبه

بصوت ساخر:

فضلت أنك يجب أن تعرفي بعض الأمور قبل أن تحترقي مع هذا
المكان الأثري الذي لم يعد لأحد الحاجة فيه، هذا سيكون ألد
بالنسبة الي إذا لم تمناعي أنستي الجميلة وما تبقى من التوائم
الثلاث الجميلات

- في البدء سأقدم لك نفسي يا
- مهما يكن اسمك فأنا لا أهتم بالأسماء كثيراً
- علاء الشقيق التوأم لسامي

عندما ظهرت علامات الاندهاش حد الفرع جليةً على قسما
وجه ابتسام انعكست انتصاراً على محيا علاء الذي واصل

- في البداية كانت مفاجأة لي ما حصل لأخي سامي، وكانت
المفاجأة الأكبر عندما اكتشفت أن الأخت التوأم هي من
قامت بالمهمة ضد أخي الساذج سامي

- هنا بدأت لعبة التوائم والتي ظننت أن عامل المفاجأة فيها
سيكون لصاحي لأكتشف توأماً ثالثةً حدثتني عنها طالبتني
النجيبة ريهام بينما كانت أمعأوها تتمزق وهي تحتضر،

لكني لم آسف لموتها حتى ولو لم يكن لها ذنب، فلعبة الانتقام لا بد فيها من ضحايا يدفعون ثمن غلطة لم يرتكبونها، ومن المفارقات العجيبة في هذه اللعبة القذرة، أنه غالباً ما ينجو فيها المجرمون، لكن أهم ما أريدك أن تعرفيه، ولا شك أنك قد عرفتاه، أن شقيقي المحب الولهان ليس من قتل خطيبته لقد كنت أنا من قام بقتلها بعد أن استمتعت كثيراً، وعلى عكسك كانت هي من دفعني للنيل منها نعم لقد كانت خائفة ومتوترة وهذا حفزني على أن استغلها ولم يكن هناك بد لإخفاء جريمتي بأن أقوم بقتلها، أنا حقاً آسف

وقهقهه في ضحكة مدوية ساخرة

لقد كانت مجرد غلطة وكانت زيارتي الأولى لهذه البلاد التي لم أكن أعرف عنها ولا عن أهلها شيئاً فقد ترعرعت ودرست في خارج البلاد، على عكس شقيقي الذي كان يهوى الأمور التقليدية، إلى الحد الذي دفعه أن يختار عروسه من هذه القرية التي لم تعد أسرتنا ترتبط بها وكل ما تملكه هو هذا المنزل في هذه الأحراش، وكانت معرفتي الأولى هي أختك الجميلة في هذه البلدة، وكانت ضربتي الثانية لشقيقك الأروع في صنعاء، وكان من الممكن أن تنتهي الأمور عند هذا الحد، لولا أنني اكتشفت من خلال تحرياتي الخاصة، أن من قامت بتصفية أخي ماتزال على قيد الحياة، وليست محبوبتي طالبة الطب الجميلة ريهام

وهنا قهقهه ضاحكاً بشكل هستيري أكبر من المرة السابقة

- كنت أتمنى أن تكوني في ضيافتي وتعيشي معي في هذا القصر المهجور، لكن للأسف لم أعد أثق في أحد، لقد

صادفتك في الوقت الخطأ، أنا أيضاً سأغادر ولن أعود إلى
هذا المكان

قام بغمس الخرقة في الإناء ولوح بها:

- اسمحي لي أن أجفف وجهك الجميل، لا تحسبي أنك ستنتهي
نهاية سعيدة، انتي لا تستحقين موتاً رحيماً

فجأة صدح من فم ابتسام تصفير بلحن شجي

ما دفع علاء أن يرمي بتلك القطعة في البنزين ويصفق بكلتا يديه

- مرحى تريدان أن تحتفلي قبل أن تموتي تعجبني معنوياتك
المرتفعة، انتي على عكس اخواتك المسكينات، انتي تحبين
الاثارة فلنكن الاثارة

كان يرقص على نغمات صفيها العذب، حتى تعب وسقط على
الأرض وهو يقهقه ساخراً، ومن ثم واصل غمس تلك الخرقة في
البنزين وقربها من وجه ابتسام التي كانت مستمرة في لحنها
الشجي

- أصمتي قلت اصمتي

رويداً رويداً بدأ وجهها يتلأأ وعيناها تبرقان في سعادة

عندما التفت علاء حيث يقع بصرها، رأى ما هاله لقد كان البهو
ممتلئاً بالثعابين من كافة الأنواع ومحاولته الفرار لم تجد نفعاً،
الكثير من الثعابين التفت حول جسد رمزي فأوثقته

- والآن عليك أن تسمعي لأعرف عن نفسي، أنا ابتسام
خطيبة شقيقك التوأم سامي، كان من المفترض أنني أنا
ضحيتك الأولى لكني نجوت، وهذا لا شك لسوء حظك،

وعندما انتقمتم من سامي لم أتصور أن لديه توأم آخر
وكنت متأكدة أنه من قتل شقيقتي، فقد أخبرتني صديقتي
إيمان أنها رأتَه بعد الجريمة مباشرة يتنقل بين الأحرار،
ولكن لم يكن حينها سواك أيها الوغد، لكن خطيئتك أتت بك
على قدميك إلي لأقتص لشقيقتي الاثنتين منك أيها المجرم،
ستكون حفلة شهية لأصدقائي هؤلاء، وأشارت الى الثعابين
المتأهبة للانقضاض

ومنذ ذلك اليوم ظهرت أسطورة الساحرة الراقصة مع الثعابين
في ذلك القصر المهجور، الذي لم يعد باستطاعة أحد الاقتراب
منه

غير أن الكثير والكثير من الأساطير كانت تتناقلها الألسنة عن
تلك الساحرة التي تغطي جسمها الأفاعي حيث كان يشاهدها
بعض الأهالي في الليالي حالكة السواد.

قواعد معكوسة

- أهلا يا أبي، كيف حالك في هذا العالم الجديد؟
- أنا في أسوأ حال يا ابنتي، لكنني سعيد برؤيتك على كل حال، أتمنى أن تكوني سعيدة هنا، أنا لا أفهم ما يجري!، لقد قضيت عمري في فعل الخير، فلماذا أنا هنا في هذا المكان البائس يا ترى؟!، لم أعد أفهم شيئاً، أكاد أجن
- لا عليك يا أبي لا تبتئس فأنا بجانبك
- تصوري يا ابنتي، قبل دقائق قليلة كانت حالتي هنا أفضل، كل شيء يتلاشى ويتحول من سيء إلى أسوأ، اللعنة
- لا تقلق يا أبي، لقد أصبحت بأمان، إن هذا العالم له قواعده الخاصة، ونحن الأطفال الأقدر على فهمها، وسأوضح لك الأمور
- صحيح أين والدتك
- أمي، إنها غاضبة منك لا تنس أنك قد تأخرت في اللحاق بنا، وهي تسمي هذا خيانة، كما أن الوصول إليك كان صعباً، لذا أثرت المجيء وحيدة إليك
- حسناً ماذا جرى يا أبي لقد تأخرت كثيراً حتى لحقت بنا إلى هذا العالم
- آه يا ابنتي لا أريد أن أتذكر شيئاً من ذلك العالم الأول الوهمي الذي تلاشى سريعاً، وكانت أجمل ذكرياتي فيه معكما أنتِ ووالدتك زوجتي الحبيبة
- أريد أن أعرف منك سبب عدم لحاقتك بنا، رغم أنك كنت صاحب الفكرة وإرادة التنفيذ في انتقالنا من ذلك العالم إلى هنا
- لا بأس يا ابنتي سأخبرك بكل ما حدث لي بعد رحيلكما، وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يكمل: في الوقت الذي قمنا بتنفيذ خطتنا للانتقال عبر الغاز إلى هذا العالم الذي نحن فيه الآن، وذلك بسبب الفقر

والحرمان ومعاناتنا المزمنة هناك، تم اسعافنا جميعاً إلى المستشفى، لكن تم إنقاذي قبل أن ألقى حتفي، بعد أيام حاولت مجدداً اللحاق بكما، وقد فكرت بالقفز من فوق سطح تلك العمارة التي كنا نساكن على سطحها حياتنا البائسة، لكن زوجة مالك العمارة التي كنا نعيش على سطحها كانت هناك، وقد عملت على إجهاض محاولتي الثانية للانتحار بغرض اللحاق بكما، وقد أبدت الكثير من التعاطف معي وأعلنت عن أسفها الشديد لما حل بك وبوالدتك، التي كانت تعمل لديها كخادمة تساعدها في أعمال المنزل، وقد استفاضت في الحديث عن أمانة والدتك وإخلاصها في عملها وندمها على معاملتها تلك المعاملة السيئة، استغلت غياب زوجها لتستضيفني بين وقت وآخر في شقتها الباذخة، كانت طيبة معي، لذا فقد أثرت التريث في فكرة مغادرة ذلك العالم بشكل سريع نتيجة معاملتها اللطيفة، وخلال تلك الفترة القصيرة وصلنا نبأ وفاة زوجها الذي كان خارج البلاد في حادث مروري، وعندما عرضت علي الزواج لم أتردد، لقد كانت الوريثة الوحيدة، بعد أن أصبحت ثرياً، رأيت أن عمل الخير أولى من الهروب ، ويجب أن أقوم بعمل شيء ما تجاه المحتاجين في هذا العالم ، وفعلاً قمت بعمل الكثير من الأشياء الرائعة، صرت رجل أعمال يشار إليه بالبنان، وقد نمت تجارتي بشكل متسارع، أسست المصانع والأعمال التجارية التي وفرت آلاف فرص العمل لآلاف الأسر، كل هذا في العشر السنوات الأولى، و في السنوات العشر الثانية قمت بأعمال خيرية رائعة، أنشأت داراً للأيتام استوعب المئات من الأطفال وامتدت فروعه إلى جميع أنحاء البلاد وعملت على توفير كامل احتياجاتهم، وتعليمهم وتأهيلهم حتى حصولهم على أعلى الشهادات، وكذلك أسست داراً للعجزة والمسنين تم استيعاب الكثير فيه، كما أنشأت المدن السكنية العملاقة، وأسكنت فيها الموظفين محدودي

الدخل، وفي العشر السنوات الأخيرة بنيت المساجد للمصلين وأُسست مدارس لتعليم القرآن الكريم و شقق سكنية لطلاب العلم الشريف، ثلاثون عاماً كانت حافلة بالعتاء قبل أن الحق بكم لأجد نفسي في هذا المكان البائس يا إلهي ما هذا الجحود، لكن ماذا عنكم أنتم؟! لقد فعلت الكثير من أجلكم وكنت قلقاً عليكم ويئست من أن أراكم في هذا العالم الجديد

- لماذا يا أبي يئست من رؤيتنا لأننا سنكون من أهل النار أليس كذلك، ضحكت الفتاة الصغيرة ضحكتها الرنانة بخبث

- ما زلت ذكية كما عهدتك، لكن بالفعل ما أخباركم يا لأنانيتي ماذا تفعلون...

- نعم يا أبي في السنوات العشر الأخيرة نسينا تماماً وأصبحت تعمل الخير من أجل نفسك فقط، لكن لا تقلق فأنا لم أخبر أُمي بذلك، لقد كنت ضحية من ضحايا الأفكار الدينية المغلوطة، ولكن كل ما يسعني قوله لك ألا تقلق فنحن في أفضل حال بل نحن أفضل حالاً منك لا شك

- ماذا تقولين لقد كنت قلقاً عليك بالفعل، لقد تم انتحاركما ولذا فجزاؤكما النار، وقد أعطيت الكثير من الصدقات من أجلكما، لكن رجال الدين الذين التقيت بهم في السنوات الأخيرة من عمري أخبروني أنكما في النار وأنه لا جدوى من إنقاذكما، بل إنه من المحرم أن أحاول إنقاذكما

- لا بأس يا أبي هذا بالضبط ما أحاول إيصاله لك، القواعد وقد جاء اليوم الذي ستفهم فيه قواعد الحياة بشكل صحيح، و عليك أن تسمع مني كما أنصت أنا إليك

- حسناً يا ابنتي

- عندما انتقلت مع أُمي إلى هذا العالم الجديد، كان مستوى معيشتنا لا بأس به، بل إنه كان ممتاز وبمستوى خيالي، إذا ما قورن

- في السنوات العشر الأخيرة من حياتك، قمت بتشيد المساجد ودور القرآن الكريم، واهتممت بالعلوم الشرعية وطلابها وفتحت الجامعات الدينية
- زاد زهوه وشمخ برأسه: بالطبع يا ابنتي لقد هداني الله إلى صراطه المستقيم
- قاطعته: وهنا حلت بنا الكارثة
- امتقع لون وجهه وهو يهتف: ماذا؟ ماذا تقولين؟!!!!
- وهل بناء المساجد ومساعدة الصالحين الأخيار جريمة
- العبرة بالنتائج يا أبي، فالكثير من الطلاب الذين تم تدريسهم تحولوا إلى أحزمة ناسفة وأمراء حروب وما يزالون يقومون بالكثير من الدمار والفوضى ونشر التعاسة والالام بين الناس، أنظر وفتحت الشاشة: هل تعرف هذا؟
- نعم هذا صديقي الذي هداني الله على يديه
- لقد ملكته الكثير من القرارات وأصبح المتحكم الفعلي في قراراتك في العشر السنوات الأخيرة لقد أدمى الكثير من القلوب، وأصابت أفعاله الشريرة الكثير من الأبرياء
- لقد كان رجلاً صالحاً، مميمم أو بالأحرى لم أكن أعرف عن طبيعة أعماله التي ذكرتها بالضبط
- هل تعلم أن الأمر لم يقتصر على اشتراطك مساعدة المتدينين فقط، لكن مساعدتك صارت تشترط التزكية من رجال الدين للمستحقين للعطف والإحسان أيضاً، فأصبحت كل أعمالك مشروطة، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، لقد حلت الكارثة الكبرى على رصيدك، عندما تم الاستغناء عن الكثير من الموظفين فقط لأنهم غير متدينين
- هنا قاطعها الأب: تقصدين غير صالحين...

- مهما كان المفهوم يا أبي أنا أحدثك عن النتائج الآن والقواعد الصحيحة، يجب أن يكون عمل الخير والعطاء للجميع دون استثناء بدون شروط، لقد كنت في السابق سبباً في صلاح الكثيرين من المنحرفين نتيجة الظروف البائسة التي يعيشونها، وهنا ارتفعت أسهمنا إلى القمة، ولكن في السنوات الأخيرة، اعتقدت أنك وصلت إلى ذروة الصلاح والهداية، وهرولنا إلى الحضيض
- أه يا ابنتي لقد فهمت أخيراً القواعد، إنني أعتذر منكما، من المؤكد أنكما تعانيان
- لا يا أبتى لن تعانيا أنت وأمي في ظل وجود طفلتكما الذكية، لقد قمت بالثبوت في بداية العشر السنوات الأخيرة، عندما راقبت الانحراف في أعمالك وبداية هبوط الأسهم، وقد ثبت القيم عند الأسهم المرتفعة وهذا يحق لي، وبالتالي فإن الكثير من الأعمال التي قمت بها مع رجال الدين لم تمسنا بسوء
- قاعدة أخرى يجب أن تعرفها، لا يستطيع الإنسان أن يصعد إلى درجة عليا لا يستحقها ولكن بالعكس يمكن لصاحب الدرجة في النعيم الأعلى النزول إلى المستوى الأدنى
- قال بحزن والعبرة تخنقه: لقد فهمت سأظل هنا في انتظار زيارتك، وأمك لا شك لن تقبل بزيارتي
- لا يا أبي هناك استثناءات، بموجبها أنت تستطيع أن تأتي للعيش معي ومع والدتي، الآباء الذين يمتلكون أطفال يحق لهم العيش معهم في الدرجة نفسها، إنها مكرمة مقدمة فقط للأطفال، وأمي أيضاً بانتظارك هناك تهيب لك الأشياء الأجمل
- هيا بنا يا أبي.
- وهنا اغرورقت عيناه بالدموع وهو يحتضن طفلاته
- كم أنا ممتن يا ابنتي، لكن القواعد معكوسة في ذلك العالم

- نعم يتم نقلها بشكل خاطئ، من قبل من يعتبرون أنفسهم أوصياء على الدين، ويستغل المتدينون هذه الأمور الغيبية ليقدموا أنفسهم ممثلين عن الرب، ويعززون من سلطاتهم الفاسدة، لذلك ستكون عاقبتهم هنا وخيمة
- جزاءً وفاقاً
- بقيت قاعدة أخيرة يا أبي، أريدك أن تعرفها قبل أن تقابل والدتي التي ما تزال في طور فهم القواعد
- هيا يا طفلي الحلوة
- الثلاثون عاماً التي قضيتها في العالم الأول تساوي ثلاثة أيام لدينا
- ماذا تقولين أيتها الفتاة الشقية؟
- نعم يا أبي
- استرسلا في ضحكة مشتركة، وهو يجري وراءها في سعادة غامرة.

الشاي

ها هي نرجس في منزل والدتها وفي المطبخ تماماً، تقوم بعمل الشاي الذي تتقنه بالنسبة لذوق والدتها الى الدرجة التي ستجعلها في كل رشفة تكيل لها المديح والثناء دون توقف، وليس كما كان حالها مع زوجها الذي وصلت به الصفاقة، حد أن لامها على الشاي الذي عملته أمام أسرته الذين حلوا عليها ضيوفاً، لذلك غادرت منزل الزوجية حانقة من زوجها قبل يومين لتعود الى منزلها الذي ترعرعت فيه مع والدتها

لقد كانت تتحمل تلميحات زوجها التي تحمل في طياتها سخرية مبطنة، وتقوم مجبرةً بتعديل كمية السكر في الشاي بحسب ما يتطلبه ذوقه الذي يحب الشاي بسكر زيادة، هذه النقطة فقط هي جوهر الاختلاف فيما بينها وبين زوجها، وعلى مدى العامين المنصرمين اللذين عاشتهما معه منذ الزواج كان زوجاً رائعاً وطيباً ومحباً، لكنه يحب السكر زائداً في الشاي، وهي رغم خبرتها التي تحسدها عليها جميع الفتيات في الطبخ وإعداد الأكلات الشهية الا أنها لم تستطع أن توفر لزوجها الشاي الذي يريده فقد كان ذو مزاج متطرف في ولعه بالشاي، وقد كان يطريها مدحاً وثناءً على خبرتها في طهي الطعام، ويتذوق كل طبق تقدمه، لكن بالنسبة للشاي كان يلح لها أنها لابد أن تكون خبيرة في إعداد كخبيرتها في إعداد بقية الأطباق

كانت في ذكائها ونباهتها في الطبخ تتصفح المعلومات في النت مرة واحدة لتتابع ما يستجد من أكلات أو ما يشتهيها زوجها، فتعد منها ألذ وأشهى الأطباق لتقدمها اليه ولضيوفه، فكانت محل إعجاب كل من يعرفها على تلك الموهبة التي تتمناها أغلب النساء

كل النساء اللاتي يزرنها في بيتها لا يخفين مشاعرهن بروعة مأكولاتها ومن خبرتها يتعلمن إعداد الأكلات، فأصبحت نرجس حديث مجتمعها الصغير في حسن سبكها ونباهتها وخفة أناملها في إعداد الأكلات، لكن بالرغم من كل هذا، إلا أن عماد زوج نرجس يرى أنه فشل في تعليمها كيفية عمل الشاي بالشكل الصحيح، بعد أن حاول جاهداً أن يوصل إليها أهمية أن تعرف ماذا يعني إعداد الشاي بأنواعه حسب متطلبات مختلفة في الذائقة، وهو بالنسبة إليه لا يقل أهمية ان لم يكن أهم من جميع الأطباق التي تتفنن فيها، لكن كل ذلك كان يذهب أدراج الرياح واصبح عماد يعتمد على نفسه في إعداد الشاي

في كنف والدتها ترعرعت نرجس يتيمة ووحيدة، فقد توفي والدها وهي في السادسة من العمر وأقامت الأم على تربية ابنتها عشر سنوات لم ترض بديلاً عنها، فقد رفضت أم نرجس جميع من تقدموا لخطبتها من الرجال، معرضة عنهم الى تربية وحيدتها نرجس، كانت أم نرجس في أوائل العقد الثالث ما تزال في ذروة صباها عندما توفي زوجها، وعلى قدر كبير من جمال باهر ورثت عنها ابنتها نرجس الشيء الكثير منه

وعندما تقدم المهندس عماد ابن جيرانهم الذي تخرج لتوه من كلية الهندسة لخطبة نرجس، لم تمنع الأم خاصة وأنه من أسرة ميسورة الحال وهي محل تقدير كل أبناء الحارة، أيضاً لم يمانع عماد في أن تكمل نرجس دراستها، وقد وفى بوعدده، وها هي بعد سنتين من زواجها بالمهندس عماد قد أكملت دراستها الثانوية وتستعد لدخول الجامعة

وكان كل شيء يسير بشكل جيد لولا نقطتين، أولاهما ما تحدثنا عنه سالفاً من عدم قدرة نرجس لإصلاح الشاي كما ينبغي لزوجها الذي رغم أنه يحبها كثيراً إلا أنه تمادى مؤخراً في انتقادها أمام أسرته وصديقاتها لجهلها في إصلاح الشاي

والأمر الثاني أن نرجس كانت تحس بفتور من قبل أمها في هذه المرة، وهي لا تدري لماذا بل إن الأمر كما هو عليه بدون مجاملات سيكون أكثر من ذلك، فهي تحس أن وجودها ليس مرغوباً في المنزل، العديد من المرات كانت تأتي لزيارة أمها بعد زواجهم من عماد، وكانت أمها في كل مرة تسعى جاهدة لديها لتطويل الفترة في البقاء، لكنها في هذه المرة تحس بأن والدتها غير مهتمة بها، وأن كل وقتها تقضيه في خدمة زوجها الجديد الذي تزوجها قبل ستة أشهر، وبالرغم من أنه لا يأتي إليها سوى يومين في الأسبوع إلا أن أمها تعطيه كل وقتها، وأصبحت طوال الوقت تعمل على تحسين نفسها ومظهرها، فلا يمر يوم دون الخروج الى السوق لشراء أدوات التجميل، او شراء الأقمشة وتفصيل الفساتين الراقية، وإذا لم تخرج الى السوق كان عليها أن تذهب الى الكوافير، حتى أنها حدثتها مؤخراً أنها تريد أن تسافر للقيام بعملية تجميل

كل من يعرف والدتها من قبل العاقلة والهادئة كان يحسدها على تلك الرزانة التي كانت تتمتع بها، ونرجس ذاتها التي عاشت مع والدتها كانت نسخة طبق الأصل منها في حسن تدبيرها المنزلي وهذا كان مثار إعجاب كل من يعرفها وكذلك أصبحت محل اطمئنان كبير من قبل زوجها الذي كان يعتمد عليها في تدبير شئون المنزل، التبذير و الاسراف كان العدو الأول لوالدتها، لكن نرجس اليوم تعيش في حالة عجيبة لم تستطع التعامل معها، فأمها بزاوية مائة وثمانين درجة قد غيرت الاتجاه، والرجال الذين كانت تتهمهم بعدم الوفاء وأنهم مصدر إزعاج ليس إلا وقد رفضت الكثير منهم جاؤوها خاطبين، ها هي في هذه

المرّة تحرص على تلميع جسدها ليصبح كالمرآة في كل أوقاتها إرضاءً
لزوجها الجديد، كذلك لاحظت أنها في هذه المرّة تستبدل كل ذلك بما فيه
الترحم على والدها الأول، بكيل المديح لفؤاد زوجها الجديد الذي لا تكل
عن ذكره والتغزل فيه، وقد غاب عن لسانها الدعوة للمرحوم زوجها
السابق

كانت نرجس إلى حد ما تتفهم كل ذلك التغيير والانقلاب المفاجئ، فأمها
تريد أن تعيش حياتها وتعوض سنوات الحرمان التي عاشتها أرملّة،
وهي قد قامت بعمل عظيم في صبرها ومثابرتها على تربيته، ومن
المؤكد أنه يحق لها أن تقضي ما تبقى من عمرها، خاصة وأنها ما تزال
في ريعان الشباب بالطريقة التي تعجبها ولا خلاف على ذلك الأمر، لكن
ما أزعج نرجس هو ردة فعل والدتها تجاه الأحداث الأخيرة التي حدثت
فيما بينها وزوجها، وعدم اهتمامها بالأمر كانت في كل مرّة تأتي
لزيارتها تحدثها عن قصتها مع الشاي، وكيف أن زوجها يتذمر من عدم
معرفتها لعمل الشاي، وتجد من والدتها اهتماماً وتشجيعاً وعطفاً كبيراً،
فهي تطلب منها أن تصلح الشاي وتتلذذ في رشفه، وتعتبر أن الشاي
الذي تعمل به مرارته المعروفة، لا يقارن وأنه وفق المواصفات الأعلى
جودة في العالم، لكن البعض يريد سكرّاً زائداً في الشاي، وهذا كان
تخلف من وجهة نظر والدتها، وحتى إن أرادوا فعليهم أن يعطوا السكر
بأنفسهم بما يناسبهم، ولم تكن والدتها تتوانى عن وصف زوجها عماد
بأنه مبذر ومسرف، علاوة على أن كثرة السكر في الشاي أيضاً مهلكة
للصحة، وبالرغم من أن والدتها ما تزال تتذوق ذلك الشاي الذي تعمله إلا
أنها لم تكن تلح عليها في هذه المرّة مثل كل مرّة أن لعمل الشاي، وما
فاقم من مراراتها، أنها وهي تعمل الشاي في هذه المرّة التي جاءت فيها
غاضبة من زوجها لا زائرة بسبب الشاي بالذات، لم تسمع من أمها ذلك
الصوت الغاضب المجلجل الذي كانت تسمعه منذ أن كانت طفلة وحتى

أصبحت زوجة، في كل مرة تصنع فيها الشاي كانت تسمع ذلك الصوت الغاضب المجلجل من أمها (نرجس وازني السكر في الشاي خففي من السكر)

وقد تتبعتها أحياناً

(السكر غالي يا بنت)

في هذه المرة بالذات ورغم أن لها يومين في المنزل وقد عملت الشاي لأمها عدة مرات، لكنها لم تسمع منها ذلك التهديد الذي كانت تعتبره شهادة ليس لها نظير منها، خاصة وأنها بعد أن تأتي بالشاي وتذوقه تهتف قائلة:

(تسلم يدك يا أحلي نوسة)

كانت تتمنى من زوجها أن يقوم بانتقادها على عمل أي شيء إلا في الشاي، لأنه بهذا يحاول أن يفقدها ثقتها بأمها وشهادتها وحسن تدبيرها، وهذا لن يكون لقد كانت تبادل زوجها حبه لها، لكنها لن تتحمل انتقاداته اللاذعة لطريقتها في اصلاح الشاي، لأن ذلك يجرح كبرياءها فالأمر يتعلق بذوق أمها بل وبتربيتها على حسن التدبير والتبذير من عدمه يبدأ من السكر أولاً، وإذا لم يكن على علم بذلك فعليه أن يعلم

ازداد قلقها وهي تصب الشاي لوالدتها وزوجها الذي جاء الى المنزل في النهار، ضحكة والدتها التي لم تعهدها من قبل تجلجل ملء الدار وتصك أذنيها إلى المطبخ، لقد أصبحت نرجس مرتبكة في هذا البيت بل هي تبدو كأنها غريبة في هذه الدار، يوم أمس لم تبد لها والدتها أي اهتمام، فقد كانت في حالة طوارئ تنتقل ما بين الحمامات البخارية والكوافير، وها هي اليوم على غير المألوف عنها صوتها يملأ الدار، وضحكاتهما ربما تصل الى الجيران، لقد كانت في هذه المرة أحوج ما تكون الى صوت والدتها المستبد والمتعطر، كي تقلل من السكر في

الشاي، ذلك الصوت الذي ما إن تذكره حتى تنتابها مشاعر مختلطة بين الأمان والخوف، إنه الصوت الذي كان يجعلها تتكور داخل نفسها وهي ترد بصوت هامس

- حاضر يا أمي

حملت نرجس صينية الشاي مع الكاسات الممتلئة، ودخلت لتسلم على زوج أمها الذي تمتلئ طاولته بالحلويات أمامه، إنه ليس كبيراً كما كانت تتوقع، وهو على درجة كبيرة من الوسامة، والبهاء يشع من وجهه، ووالدتها تستحق الأجل لا شك، وقبل أن يكمل طلبه أن تجلس معهما إذا بصوت والدتها المستبد والمتغطرس يهدر كالعاصفة بل إنه كان في هذه المرة أكثر غطرسة واستبداداً من أي مرة مضت

- ما هذا الشاي يا نرجس، الشاي هذا بدون سكر، حتى الكلاب ما تشربه

- لكن يا أمي

- وبعدين هذا الشاي المر الذي بتعمليه بتلومي زوجك ليش ينتقدك يا خسارة تربيتي فيك يا نرجس، فجأة قالت بدلال قبل
- على الأقل من أجل الزوج العسل، ضروري سكر عسل
أجاب فؤاد بهدوء

- لكن هذا الشاي الذي عملته نرجس يناسبني أكثر فأنا لذي السكر
واستخدم الحمية.....

- أووووه هل هذا صحيح

- نعم وقد أخبرتك مسبقاً لو تذكرين

- مممم لقد نسيت

لكن كل ما قاله الزوج لم ينجح في تهدئة زوجته المتحاملة على ابنتها، التي تفجرت الدموع من عينيها، وانسحبت مسرعة الى المطبخ حتى لا تسمع ذلك الكلام القاسي والجارح الذي تهاجمها به والدتها

عادت نرجس لتفترش أرض المطبخ وتدخل في غيبوبة من النحيب، وسالت دموعها بغزارة، لم تعرف نرجس كم ظلت تنتشج دموعها، قبل أن تعود الى حالة من الوعي والسكون، كان تلفونها على مقربة منها ورسائل الوتس بتلك النغمة المحببة اليها تصل إلى أذنها، نهضت لتمسك التلفون بشغف لتجد رسائل من زوجها

- مساء سعيد عليك يا أحلى نرجس، افتقدتك كثيراً، وافتقدت الشاي اللي بتعمليه، من يدك كل شي عسل، يا أحلى وألذ من العسل، أشتي اشرب فنجان شاي من يدك جبي لك الآن مسافة الطريق.
وأرسل اليها باقة من الورود والقلوب الوتسية

وكان الرد منها

- أهلا وسهلا زوجي حبيبي منتظراك، والشاي العسل للناس العسل، بتذوق شاي عمرك ما ذقته، (باقة من الورود والقلوب الوتسية)
لم تحس ابداً من قبل بمثل هذه النشوة والسعادة الى حد أنها شغلت صوت الأغاني من تلفونها، وكانت ترقص وهي تصلح الشاي حتى وصلت الى مرحلة إعطاء السكر، وارتجفت يدها قليلاً وهي تستعيد في جزء من الثانية صوت والدتها لديها لتخفف من السكر في الشاي، لكنها تجاوزت تلك اللحظة بعد أن وضعت سكر زيادة في الشاي لتعود الى اشراقها وغنائها ورقصها

كذلك انتقلت عدوى السعادة الى زوجها بعد أن ارتشف من ذلك الشاي، الذي دفعه لأخذ يدي زوجته ليقبلهما بحرارة عندما خرجت من منزل والدتها في منتصف الليل متأبطة ذراع زوجها، كانت قد تركت رسالة

اليها، سلام يا أحلى وأجمل ماما، لقد عدت مع عماد الى منزلنا، أتمنى
لك يا أمي السعادة في حياتك الجديدة، لا أعتقد أن عمي فؤاد يعاني من
مرض السكر، هو يستحق بلا شك كل ما تفعلينه من أجله، لأنه طيب
القلب، تحياتي إليه، تليقان لبعضكما.

الجندي المجهول

كان الوضع في المصنع استثنائياً، وكيف لا يكون كذلك والزيارة المقررة للوزير ستكون في هذا اليوم التاريخي العظيم، كل شيء كان محضراً له منذ أيام فما بعد زيارة الوزير ليس كما قبلها، هذه العبارة كانت المفضلة للمدراء في اجتماعاتهم مع العمال، التلويح باستخدام العقوبات كان حاضراً كما أن الترغيب له حضوره الباهت أيضاً، في كل الأقسام الإنتاجية الصناعية كانت الأصوات تتعالى ويكسو ملامح الأفراد قلق مبهم، الجميع منشغل بنفسه، دقائق معدودة تفصلهم عن وصول معالي الوزير، المدراء بحسب أهميتهم مع المدير التنفيذي والمدير الفني لعمليات التصنيع مع مدراء الإدارة الفنية تم تحديد مواقعهم بحسب ما هو مخطط له سلفاً، الجميع دون استثناء من عمال ومدراء كان كمن يؤدي البروفة الأخيرة في حفظ الدور قبل العرض المسرحي، مع زحف الدقائق نحو محطة الساعة العاشرة، كانت الأعمال التي يجب إنجازها تتكاثر في مخيلة العاملين ، القلق سيد الموقف وجميعهم دون استثناء يسكنهم التوتر والقلق، من خلال خبرتهم بدمرائهم الفنيين كانوا يعلمون أنه لا بد من ضحايا يتم التخلص منهم و فصلهم من أعمالهم عقب الزيارة، وإذا كانت الضحايا تتساقط إثر زيارات أبسط بكثير، فمن البديهي أن يذهب ضحايا كثر في هذه الزيارة للتغطية على ضعف الأداء الإداري للمدراء المتسلطين والفاشلين، وليس على العمال سوى السمع والطاعة، وسيجتمع المدراء ليقرروا فصل المقصرين في أعمالهم، بحسب ما سيأتي في البروتوكول الذي سيصدر عن اجتماعهم في مثل هذه الظروف، بينما سيعمل بعض العمال على التبرير للقرارات،

الأغلب سيفهم اللعبة وتوزيع الأدوار بين العمال ويفضل أن يتغابى مكرهاً

دقت الساعة معلنة تمام العاشرة، الجميع يعرف ما هو الدور الذي يجب أن يؤديه بإتقان، الحركة حول الآلات للمشغلين والمراقبين، العمل على أجهزة التحليل في المختبر، تأدية أعمال ومهام تمثيلية لا علاقة لها بالواقع العملي، الانهماك على أجهزة معطلة وخارج الخدمة، فعلى كل حال الزيارة هي لمسئولين سيلقون نظرات خاطفة وهم ليسوا مختصين أو مفتشين وسلطتهم العليا ستفرض عليهم الترفع وأن يكونوا مستعجلين، ينظرون بطرف أعينهم شزراً في تكبر ولن يتأملوا أو يحدقوا في أي شيء

اصطف المدراء لاستقبال الوزير، على رأسهم المدير الفني فالزيارة ستكون الى المصنع وسيكون له الدور الأكبر في تعريف الزوار بالآلات التصنيعية في المرافق المختلفة، مدراء الإدارة الذين ينضوون تحت ادارته يصطفون الى جانبه، مدير التصنيع، مديرة تأكيد الجودة، مديرة رقابة وضبط الجودة، مديرة مختبر البحث والتطوير، مدير الصيانة، لم يكن هناك أي ضرورة مهنية لمصاحبة المدراء للوفد باستثناء المدير الفني، الذي يقوم بالشرح للوزير حول المصنع ومرافقه وإنتاجه، لكن مهمتهم الأساسية كانت تقضي مراقبة الأفراد العاملين عند الوصول إلى موقع إدارته وأن أفرادهم يلتزمون بأداء الأدوار المرسومة لهم بالشكل المخطط له، وعلى هذا سيكون التقييم فيما بعد لنجاح الزيارة أو فشلها، وعلى هذا الأساس سيكون الثواب والعقاب حتماً

الوزير في بداية العقد الرابع ذو مظهر أنيق، حاجباه الكثيفان، نظراته الحادة تدل على مدى سطوته، وهو فضلاً عن كونه وزير في الحكومة له يد طولي في السياسة وأحد أبرز قادة الأحزاب من الشباب الملهمين في إدارة البلاد الذين برزوا في الفترة الأخيرة، كما أنه من أبرز

المهيمنين على قرارات الحكومة، وكانت الأخبار تتوارد حول تعيينه نائباً لرئيس الوزراء للشئون الفنية في المرحلة القادمة

وفي حقيقة الأمر فإن الوزير لم يكن بعيداً عن هذه البيئة العملية من ناحية دراسته الجامعية، فقد درس تخصصاً علمياً هو في صميم هذا المجال، لذا فهو يحاول أن يجمع شتات تفكيره ليستعيد أيام دراسته الجامعية، وهو عندما يفعل ذلك يقفز الى مخيلته ذلك الشخص الذي كان من أعز أصدقائه في تلك الأيام، بل إنه لم يعرف صداقة فيما مر من حياته أفضل منه صديقاً صدقاً وإخلاصاً، لقد كان هبة ربانية في تلك المرحلة من عمره، كان الوزير يمارس نشاطاً سياسياً مكثفاً، وكان من حظه أنه التقى بذلك الطالب المجتهد، كان ذلك الطالب مدهشاً في نبوغه وتفوقه العلمي و محل احترام الجميع من زملائه لبساطته وتواضعه، يقوم بتلخيص المحاضرات وحل المسائل والاشكالات العلمية وشرحها وإهدائها لزملائه، غير أنه ارتبط بعلاقة خاصة أكثر به، و له الفضل الكبير عليه لتجاوز المرحلة الجامعية بنجاح، رغم أنه كان منهمكاً في العمل السياسي حد الإهمال إلا أن وفاء ذلك الطالب كان يعيده الى الدراسة، فقد كان يأتي في الظروف الصعبة من مواسم الاختبارات ليلزمه بقراءة دروسه وشرح كل ما فاتته منها

تخرج ذلك الشاب من الكلية بامتياز مع مرتبة الشرف، وبقي في الجامعة معيداً بالتعاقد دون جدوى من التثبيت، كان الفساد السياسي ينخر البلاد حتى النخاع، فالدرجات الأكاديمية لم تكن تسلم من المحاصصة الحزبية، بينما ظل هو غير منتم لأي حزب ملتزماً بمسيرته العلمية، تم تثبيت الكثير بدرجات أكاديمية لاعتبارات سياسية بحتة بدون النظر للمعايير الأكاديمية، فضل مغادرة الجامعة فقد كان عليه أن يعيل أسرته، انقطع تواصل الوزير مع صديقه لاحقاً وكل ما كان يعرفه أنه انتقل للعمل في أحد المصانع المحلية

من جهة أخرى لم يكن النجاح الذي حققه الوزير من خلال وصوله إلى كرسي الوزارة نتيجة عمله السياسي فقط وكونه ناشطاً حزبياً، ولكن أغلب النجاح قد تحقق له نتيجة زواجه من زميلته الجامعية ابنة أحد قادة الحزب البارزين والسياسيين المخضرمين، وهذا هو السر الكامن وراء صعوده الصاروخي في تنظيم الحزب ليصبح أحد أبرز قادته مؤخراً، وعلى كل حال فهذا الأمر هو الدارج في هذه البلاد التي تسير وفق أهواء سياسيينها والفساد ينخرها بلا هوادة جراء تخلي قياداتها عن العمل المؤسسي وتكريس الفوضى سواء في هيكل الدولة أو الأحزاب نفسها، ومن المحطات التي لا تنسى بالنسبة للوزير والكلمات التي ما تزال ترن في أذنيه، عند افتتاحه أحد المشاريع الهامة، مر برجلين أحدهما كهل والآخر يبدو من هيئته أنه أحد الشحاذين المتشردين في شوارع العاصمة إلا أنهما كانا يجلسان كأصدقاء، فجأة وجد الشحاذ يقف أمامه فجأة طالباً منه بعض المال وعندما حاول مرافقه الوحيد أن ينحيه جانباً أوقفه ليعطيه مبلغاً لا بأس به، عاد الشحاذ في سرعة كما جاء بسرعة وجلس وهو يهتف أرزاق، أجابه ذلك الكهل العجوز (مع^١ أخزاق يا صديقي) التفت الوزير بعينه ليحدد في عيني ذلك الكهل، الذي نظر إليه باستهزاء وتحدٍ لافت، ما زال ذلك الموقف حاضراً في ذاكرته وتلك النظرات تملأ رأسه، ورغم مرور سنوات على ذلك الحادث، لقد كسرت تلك الكلمات من الداخل وما زال أثرها باقياً لم يمح، فأبلغ الكلمات عمقاً وتأثيراً في النفس هي أكثرها قرباً للحقيقة، حتى وإن حاولنا الإنكار، وللإنصاف فإنه رغم حسن إدارته ونزاهته واتخاذه بطانة من المستشارين الفنيين الناجحين، إلا أنه لم يكن له أن يصل لولا مصاهرته لذلك السياسي المخضرم

بعد أن قام بالتحقق من الترتيبات اللازمة لما بعد جولة الزيارة، التحق المدير التنفيذي بالمجموعة التي كانت تحيط بالوزير وبدأ في مجاملة

^١ - لا باللهجة الصنعانية الدارجة.

الوزير، كان المدير العام يعول على الزيارة في إنقاذ المصنع، وهو بدوره يعمل جاهداً لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فذلك المجد التصنيعي الذي أقامه، يوشك على الضياع نتيجة استعانتته بجوقة من المدراء الفاشلين، والهدف غير المباشر الذي يرتجيه المدير العام من الزيارة كبير، فهو يرتب لخطبة ابنة الوزير لولده ليصبح صهراً للوزير، وهذا ما تقتضيه ضرورات إنقاذ الوضع، لذلك لا عجب في هذه الحفاوة المضاعفة والاستقبال غير المعهود

بعد أن أنهى سعادة الوزير والوفد المرافق له زيارة المصنع، وقبل وصولهم إلى مقر الضيافة في مبنى الإدارة حيث يقبع مكتب المدير العام، التفت الوزير ليرى بناءً صغيراً محاذياً لسور المصنع الداخلي، اقترب منه وعندما تمعن من الزجاج، حيث كانت مساحة كبيرة لإحدى الغرف مصنوعة من الزجاج، وذلك المبنى الصغير ليس سوى مكتب عمل، تقدم في سرعة إلى داخله، لم يكن هناك من بد لبقية المرافقين وعلى رأسهم المدير الفني أن يجاروا الوزير في استطلاع

بسرعة وهو يحاول جاهداً إخراج الوزير من ذلك المبنى، أوضح المدير الفني للوزير طبيعة هذا المبنى الذي يحتوي في الدور الأول على مكتبين وصالة تحتوي على كافة وثائق الشركة، وأن في هذه المكاتب لا يوجد سوى موظف واحد يقوم بتجهيز كل بروتوكولات ووثائق العمل التي تعمل على أساسها الشركة، وهي مستمدة من دساتير دولية معتمدة، بما يعني أن هذه الشقة هي عقل الشركة، وكذلك الذاكرة التي تحتفظ بكل وثائق الشركة وإنجازاتها

لم يبدُ على الوزير أي اهتمام لما كان يتحدث عنه المدير الفني، فقد كان مشغولاً بأمر آخر لقد اقتحم المكتب الداخلي، وها هو يقف وراء الموظف الذي يبدو أنه منهمك في عمله، بينما كان دخان السيجارة يرتفع من إحدى المنافض وكما يظهر فإن السيجارة لم تكن تنطفئ في ذلك المكان،

فسحابة من الدخان تغطي كل شيء، الموظف الجالس الى مكتبه يقوم بالطباعة على اللابتوب لم يكن يُرى بشكل واضح نتيجة تلك الأدخنة، لم يكن في المكتب عدا ذلك المكتب سوى مجلس وحيد في الزاوية وأرضية الغرفة مغطاة بالأوراق المهملة، عاد الوزير مسرعاً أدراجه الى الخارج ولم يتسنَ لأحد أن يعرف شيئاً عن الكلام المقتضب الذي دار ما بين الوزير وذلك الموظف

بدى الوزير بعد خروجه من ذلك المكتب متأثراً، وعندما سأل المدير الفني عن الموظف، أخبره أنه أحد الفنيين الموظفين في الشركة وأنه أحد الخبراء في مجال التصنيع لولا أنه يعاني من أمراض نفسية جعلته يعتزل الناس في الفترة الأخيرة، لم يعرف أحد أن الوزير كان قد أخذ رقم تلفون ذلك الموظف منه وحفظه عن ظهر قلب دون أن يدونه، كما أنه من المؤكد لم يطلع أياً من المرافقين عن حقيقة الأمر، أنه وجد ضالته وأن مسئول التوثيق في ذلك المكتب الحقيق، ليس سوى زميله العبقري الذي كان يبحث عنه

تسنى للوزير أن يعرف الكثير عن المصنع وتفاصيل ما يدور فيه، عرف أسباب الاختلالات الإدارية فلم يكن المدراء هناك سوى ديكورات زجاجيه مزخرفة، بينما يقوم الموظفون المغمورين بكافة الأعمال، وقد كان الدور الأكبر في نهوض المصنع فنياً وعلمياً لزميله القديم الذي يوشك أن يقذف نهائياً إلى سلة المهملات، فضلاً على ذلك كان الوزير مطلعاً على تفاصيل ماضي ذلك الموظف الذي كان يُستغل بشكل كامل من زميلته التي أحبها حد الثمالة منذ السنة الدراسية الأولى في الجامعة والتي لم تبال به ولا بمشاعره، لقد حققت طموحها ووصلت إلى درجة مدير في هذا المصنع على أكتافه، لكنها تستمر في عبثها بذلك الشاب العبقري الذي ما يزال يضحى في سبيل إرضائها إلى درجة أضاع فيها حياته المهنية، وأخيراً ها هي تتأمر عليه وتضرب عرض الحائط بكل

حبه وإخلاصه وخدماته التي لولاها لم يكن لها شأن يذكر، ومنذ دراستها الجامعية كان سلوكها المشين واضحاً، و علاقتها بأحد الدكاترة في الكلية أصبحت فضيحة مجلجلة، لكنه الوحيد الذي صم أذنيه ولم يقبل أن يسمع شيئاً، وزملاؤه المحبون له وهم كثر لم يستطيعوا أن يباشروه بالحديث حول الموضوع لأن وقعه سيكون بمثابة الفاجعة، لكنه كما يبدو قد أنهك وهو على وشك الانهيار

عام كامل اختفى بعدها ذلك الموظف عن الأنظار تماماً، ليعود إلى المصنع كرئيس لفريق المفتشين، لقد أصبح رئيس فريق الخبراء الفنيين في الوزارة، وعلى عكس المؤلف في هذه البلاد وضع الرجل المناسب في المكان المناسب

وخلال تلك الفترة القصيرة، حدثت تغيرات إدارية كبرى في ذلك المصنع، وخرج عن الخدمة غالبية المدراء في المواقع الهامة، وتم استبدالهم بكفاءات مهنية جديرة، لينهض المصنع من جديد ويعود إلى الصدارة

سلمى

كان شريط حياته الذي يداهمه بشراسة في هذه الليلة، يوازي سرعة سيارته العسكرية التي تنهب الطريق للوصول الى غرفة عمليات القيادة، حيث ينتظره القائد ليتناولوا العشاء الطازج الذي جلبه معه، ومن ثم تناول القات لما تبقى من هذه الليلة الغريبة في تفاصيلها، ومن كان ليصدق أن جابر كان يبالي بشيء اسمه القات قبل شهرين من هذا التاريخ أو يعرف شيئاً عنه بينما هو الآن أصبح محل ثقة في شراء أجود أنواعه، وهذا ما عزز من موقعه لدى القائد، ليرسله في هذه الساعة من الليل لشراء القات والعشاء وتعبئة السيارة بالبنزين، وقد أنهى جميع المهام الموكلة اليه بنجاح، كان جابر مستغرقاً التأمل في زوايا حياته الحادة صعوداً وهبوطاً في مستويات قياسية

إنه الدكتور جابر الأستاذ الأكاديمي الشهير في الفلسفة الذي حاز على إجازة فيها بالماجستير والدكتوراة من أعرق الجامعات العالمية هي جامعة السوربون في باريس، وبتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، وهو صاحب المؤلفات العديدة في هذا المجال، لكن كل هذا النجاح الذي حققه منذ تخرجه وفي زمن قياسي، لم يكن يلامس منطقة ما في أعماق روحه المهزومة والمنكسرة دائماً على عكس الحال الذي كان يبدو عليه، وبالرغم من الاحترام والتقدير الذي كان يحظى به بين الجميع نتيجة للمجهود الذي يبذله في عمله إلا أن الدكتور جابر كان يتذوق مرارة الهزيمة والفشل إلى درجة توشك أن تصيب كيانه بالشلل الكلي، ولم يكن ذلك الاستغراق في عمله إلا محاولة الهروب الى الأمام

من المشكلة، ولكن يبدو أن المسافة التي قطعها في الهروب مهما كانت طويلة إلا أنها شارفت على نهايتها الحتمية

من يصدق أن الدكتور جابر كان يفكر جدياً في الانتحار في الأشهر الأخيرة، ولم يكن ذهابه الى الجبهة ناتج عن إيمانه بحب الوطن ولا علاقة له بأي قيمة وطنية أو دينية، لكنه وجد في الحرب وسيلته للانتحار بكرامة كما كان يحدث نفسه، وهنا قهقهه الدكتور جابر ضاحكاً وهو يدوس بنزين تلك السيارة العسكرية، ليضاعف من سرعتها في طريق عودته مستخدماً مهارته الفذة في القيادة، فهو لا يريد أن يموت في هذه الليلة على الأقل، وعليه أن يقضي سهرته مع قائده الذي أصبح يحظى لديه بمكانة رفيعة فهو سائقه ومرافقه الخاص

تباً للأقدار غمغم الدكتور جابر، ها هو يقف وجها لوجه مع عقده القديمة، لكنه الآن يتعايش معها، بل أصبح خائفاً خاضعاً يتلذذ بالسمع والطاعة ويجلس رهناً للإشارة في حضرة ذلك القائد رغم أنه مصدر بؤسه القديم وفوق ذلك يجامله بالتملق، ها هو يتحقق فيه كل ما تحدثت به عنه سلمى قبل ستة عشر عاماً من جبن وهروب عن تحمل المسؤولية، لقد عادت إليه تلك اللحظات الأخيرة في اللقاء مع ابنة عمه سلمى وهي تتوسل إليه أن يهربا من القرية الى عمهما شقيق والديهما وهو شيخ كبير في المنطقة المجاورة ليشهر زواجهما، فقد كان عقد القران بينهما قد تم منذ شهور، لكنه أثار السلامة حينها وقرر السفر من القرية الى صنعاء، حيث أغمد روحه بين الكتب من أجل النسيان، تاركاً إياها لمصيرها المحتوم، يبدو أنه مهما حاول الإنسان في هذا العالم أن يتجاوز فإنه لن يستطيع تجاوز هزيمة الروح وقهر

النفس، ومرارة الحياة ستكون اللعنة الأبدية التي ستحل عليه ولن يهنأ العيش من بعدها مهما يكن الأمر

وبالعودة مع شريط الذاكرة للدكتور جابر، فقد بدأ تسارع الأحداث باتجاه الانهيار في زمن قصير جداً، كان موعد زواجه من ابنة عمه سلمى قد أعلن والأهل كانوا فعلياً قد بدأوا احتفالهم بمراسم الزواج، وكان الموعد المنتظر ليوم الزفاف هو بعد أسبوع واحد من إنهاء جابر اختبار الثانوية العامة، ولم يتبق سوى أياماً معدودة لتجاوز الامتحانات النهائية، لكن قبل ثلاثة أيام من الزفاف حصل ما لم يكن في الحسبان فقد توفي والد جابر وتم تأجيل الزفاف لأجل غير مسمى، بعد شهر وصل الى جابر ما يتهامس به البعض بأن الزواج لن يتم وأن عمه قد غير رأيه في موافقته على زفاف ابنته إليه، وعندما ذهب لزيارة عمه لتحديد العرس من جديد، لاحظ تلكؤ عمه والتبريرات التافهة التي ساقها للتأجيل، لكنه على مضض تقبل الأمر، ولم تمض سوى أيام قليلة حتى استدعاه الشيخ ناصر وهو شيخ المنطقة ليخبره أن عمه يطلب منه أن يطلق ابنته، وسيعيد إليه كل ما دفعه من مهر، كانت أسوأ الأيام التي عاشها على الإطلاق مرارة الحزن على والده يضاف إليها غدر عمه شقيق والده وخذلان الأقربين

في الليلة التالية تفاجأ بزيارة غير معهودة من ابنة عمه سلمى، كانت مواساة كبرى بالنسبة اليه كان كلامها واضحاً وقوياً وصريحاً الى حد بلسم له جراحه بأكملها

- علمت أنك لم توافق على الطلاق

- ما رأيك هل تريدني أن أطلقك

لا بالطبع لهذا جئت اليك ...

بعد صمت وتردد أردفت

- وماذا تنوي أن تفعل
- لا أدري
- هناك رأي إن أردت أن تنصت إليه
- تفضلي
- لنذهب أنا وأنت الى عمنا حميد شيخ القرية المجاورة، أنت الآن زوجي شرعاً ولم يتبق سوى الزفاف وإشهار مراسم العرس، عمنا حميد سيقنع والدي على تنفيذ العقد الذي تم في حياة والدك- عمي رحمة الله تغشاه - خاصة عندما يرى رغبتنا في ذلك

بعد تفكير انفرجت اساريره

- وهو كذلك نعم الرأي
- هل صحيح ما سمعته أن زميلي مصطفى هو.....
- نعم زميلك وصديقك العزيز مصطفى ابن الشيخ ناصر هو العريس المرتقب إذا لم تتحرك، ألم تدرك بعد مصلحة الشيخ الذي أصبح أحد الأصدقاء الأعزاء لوالدي
- لا يهمني أحد أنتي الوحيدة التي يهمني أمرها
- وأنا امري بيدك لا تطلق ولننفذ ما عزمنا عليه
- انت لا تستطيع أن تقاوم الضغوط بمفردك
- انتِ معي
- انا كذلك، لن أخذك ما دمت تريدني...

كان من المقرر أن ينطلقا اليوم التالي مساءً، لكنه أثر التروي قليلاً وكانت حساباته خاطئة

عندما جاءت اليه في المرة التالية كان الوضع مختلفاً فقد أبلغته
كم هو غبي وغير جدير بتحمل المسؤولية

ما زالت تلك النظرات الأخيرة التي أرسلتها اليه تهز كيانه كلما
أعاد الذاكرة الى ذلك الموقف

تسارعت الأحداث، بعدها هاجر جابر من القرية، وتم فسخ عقد
قرانه بابنة عمه لنتزوج مصطفى ناصر، وبعد اثني عشر عاماً
عاد جابر الى القرية وهو يحمل شهادة الدكتوراة في الفلسفة، كل
أهالي القرية بمن فيهم عمه والد سلمى والشيخ ناصر وولده
مصطفى استقبلوه بحفاوة وإكبار، لكن كل ذلك لم يكن يهمه أو
يبيالي به كل ما كان يقيم له وزن هو سلمى ورأيها فيه، أو على
الأقل نظراتها تجاهه، لكن للأسف لم يتغير من الأمر شيء، فما
زالت نظراتها تحمل ذلك القهر الممزوج بالاحتقار تجاهه وقد
أضافت علاوة على ذلك نظرة لا مبالية وهازئة كانت واضحة
في طرف عيناها

ولم يعد جابر يبيالي بشهادة الدكتوراة أو بالفلسفة أو بالكتب التي
نال شهرته بفضلها، كان عليه أن ينهي مسيرة حياته وكانت
الحرب اللعينة هذه ومن خلالها رأى فرصته سانحة لينهي حياته
بعيداً عن الانتحار الذي يمقته، على الأقل سيتم الاحتفاء به كأحد
الأبطال الذين يتم الاحتفال باستبسالهم في ساحات الحرب

كانت دهشته كبيرة عندما وجد أن قائده في تلك المنطقة العسكرية
التي اختار المراقبة فيها هو صديقه اللدود مصطفى ابن الشيخ
ناصر، صديق الطفولة وزميل الدراسة ومن طعنه في ظهرة في
أسوأ أحواله ليسلبه أعز ما يملك ابنة عمه سلمى

مع ذلك كان اللقاء غير اعتيادي، وتم الاحتفاء به بشكل لائق كصديق وزميل قديم ، تلاشت سريعاً مفاجأة جابر حول ذلك التحول الهائل الذي جعل من مصطفى قائداً في جهة كان على الضد منها على الدوام، الموضوع كان يتعلق بالمبادئ كما كان يفترض الدكتور جابر، لكنه لم يبال بكل هذا فقد كان على اطلاع بحسب تعمقه في الفلسفة عن شخصية الإنسان اليمني وتحولاته الانتهازية الكبرى، فاليمني هو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يشترك في عدة ثورات متناقضة أيديولوجياً وتنظيمياً وفي وقت قياسي وبنفس الحماس، كما أن القائد قد استقبله بحفاوة بالغة و أصبح من أصحاب النفوذ في القيادة، وكذلك كان قريباً من مصدر سعادته وتعاسته في نفس الوقت سلمى، إنه على الأقل يسمع صوتها من خلال التلفون الذي يحدثها منه زوجها القائد وهو بالقرب منه

هو أو قائده الميداني مصطفى لم يقتربا من الحديث عما جرى لهما في الفترة الماضية على كثرة الأحاديث التي تدور بينهما، وقد كان جابر يحدث نفسه أنه من المؤكد أن مصطفى لم يكن قد نسي فعلته، وربما أن تلك الحفاوة ليست سوى نوع من الاعتذار لكن لا محل للاعتذار غير المباشر في هذه الأمور، الموضوع يعود إلى شخصيته المتسامحة بل الأحرى به أن يسمي الأمور بمسمياتها وهو أن الموضوع يعود إلى شخصيته الضعيفة التي صفعته بحقيقتها ذات يوم ابنة عمه سلمى في لقاءهما الأخير، إنه من الضعف والسذاجة إلى الدرجة التي يمكن أن يسلب منه أعز ما يملك وردة فعله لن تزيد على الهروب إلى الأمام، فضلاً عن ذلك ها هو يتألم حد الذهاب إلى جبهات القتال بحثاً عن الموت، والأمر من كل هذا أنه ينتهي عن ذلك ليقع في أفضل المواقع

مرافقاً لمن سلبه روحه وحياته وجعله يذوق العذاب ألواناً في حياة لم يعد للنجاح فيها أي محل، بعد أن هزم في صميم ذاته وكيونته فمن أين له أن يحس بطعم النجاح أو السعادة

في غرفة القائد كان العشاء لذيذاً والقات أذ، لقد عرف الدكتور جابر سر الشغف بالقات فتلك النبتة تجعلك تعتصر أحزانك وترتشف رغماً عنك قيء آلامك، مثل ذلك الجمل الأعمى الذي يدور حول معصرة الزيت بلا هدف، كان يتخيل نفسه وهو يلوك القات بشراهة لا يضاهيه فيها سوى القائد، ويثرثر ليضحك على أشياء تافهة، كأنه في مراسيم جنازية لحراسة تابوت أحد الموتى في الليلة التي تسبق الدفن، وأن تلك الروح في التابوت ليست سوى روحه، ولم يكن الاكثار من الثرثرة والقهقهة سوى إثبات وجود لكائن قد انتهى فعلياً بانتهاء شغفه بالحياة وليس أكثر، يا ترى هل يحس كل من يمضغ القات بذلك الإحساس أم أن ذلك الشعور كان من نصيبه وحده

مع القائد وبعض الرفاق ظل الدكتور جابر حتى وقت متأخر من الليل، قبل أن يحس بتقلصات وألم شديد في المعدة، نقل على إثرها إلى خيمته لتلقي العلاج والراحة، بينما كان على القائد وبقية الأفراد أن يقوموا بهجمة محدودة ضد الأعداء سبق التخطيط لها، وبسبب مرضه المفاجئ كان على القائد أن يقود سيارته العسكرية بنفسه، لكن القائد لم يعد من تلك الهجمة والجميع تحدث عن رؤية سيارته العسكرية تحترق عن بعد

كان على الدكتور جابر أن يتصرف، وبصفته الرفيق الشخصي للشهيد القائد فضلاً عن كونه من نفس قرينته، وعليه فقد قام بالتواصل مع والد الشهيد وزوجته، وتم إعداد مراسم جنازية تليق بالشهيد

بعد أشهر قليلة تم زفاف زوجة الشهيد مصطفى إلى رفيقه في النضال جابر، كان لنشاط سلمى الثقافي وكونها زوجة أحد أبرز الشهداء سبباً رئيسياً في أن تصبح رئيسةً لمؤسسة الشهداء، حصل الدكتور جابر على منصب رفيع في الدولة كونه شارك في القتال في إحدى أهم الجبهات، ولأنه رفيق الشهيد البطل وزوج إحدى أبرز الثائرات زوجة الشهيد البطل، كان نشاط المؤسسة التي تترأسها زوجته سلمى تكثف عبر الأدبيات والأفلام الوثائقية التي تصدرها، إبراز دور زوجها السابق مصطفى، ولذلك كانت الأضواء الإعلامية تركز على الزوج اللاحق لأنه أبرز مرافقي القائد قبيل استشهاده

وصول الدكتور جابر الى هدفه وزواجه من ابنة عمه سلمى لم تكن نهاية سعيدة كما كان يتوقع، فقد اكتشف أنه ليس سوى (كومبارس) يؤدي دوره في مهرجان كرنفالي ينفخ الحياة في الموتى ويستحضرهم بينما يهشم الأحياء ويسحقهم

عندما كان يصارح سلمى حول ذكرياته، كانت تبادله صمتاً مطبقاً، وأحياناً كان يحس في أعماقه أنه يلوح تلك النظرة الساخرة والمحتقرة له التي حدثته بها قبل سنوات طويلة، لقد تضاعف شقاء الدكتور جابر أكثر من ذي قبل فوصول الانسان الى هدفه لن يعني له شيئاً إذا لم يكن ذلك الهدف نفسه لائقاً به ومتطلعاً اليه بنفس القدر بالإضافة إلى الوصول في الوقت المناسب

بعد انقضاء ثلاثة أعوام من الزواج لقي جابر نفسه وحيداً في حجرة مكتبه رغم أنه ما يزال يعيش مع سلمى في نفس البيت، لم يكن سوى ظل شهيد ليس أكثر ولم تعد هي في نظره سوى هلام امرأة تمارس حياتها البرجوازية الجديدة، لقد اتفقا على الانفصال

ولكن الشكليات أمام الجماهير، أو ربما هي المكاسب التي تحسلا عليها فرضت عليهما بقاء الارتباط كمصلحة مشتركة بينهما، ثراء زوجته واستعلائها وكذلك ما أصبح يمثلها هو من مسئولية عليا في الدولة لم تخف عليه الحقيقة، وأنهما مجرد ديكور زجاجة منمق مزخرف بالدماء لعصر متوحش مهترئ، يوشك أن يتداعى في أية لحظة على رؤوس الجميع، يقدس الحروب ويمعن في استغلال التجيش الجمعي للأحزان، وليس هناك أقوى أثراً من الحزن والألم كرابط مصيري مشترك، يسير بالأمم نحو المجهول زائغة النظرات في ذهول، تذهب بالبصيرة وتجعل من اللبيب أبلهاً، لكنه كان يتساءل هل كانت تدرك زوجته هذا أم أنها كانت منهمكة في أداء دورها (الكيشوتي) البليد حد العمى

في تلك الفترة ظهر ما لم يكن في الحساب، فالشائعات التي انطلقت قبل أسابيع، وكانت تتحدث عن حياة مصطفى ناصر، تجسدت على أرض الواقع بظهور مصطفى ناصر شخصياً وخروجه من المعتقل، وها هو الإعلام الرسمي يحتفي به كأحد الأبطال الأسطوريين ويتحدث عن سيرته، وكيف تم أسره بعد أن خرج من سيارته العسكرية، قبل أن تحترق ليظن رفاقه أنه قد قضى نحبه، إنهم يتحدثون كيف استمرت المفاوضات السرية مع العدو لأشهر طويلة، والتمن الباهظ الذي دفعته القيادة لإخراج ذلك القائد العظيم، بدوره كان الدكتور جابر عندما يستمع الى تلك القصص لا يتمالك نفسه من الضحك حتى الغثيان حد القيء، لقد كان يعرف ذلك القائد عن كثب فقد كان سائقه الخاص ولم يختره كسائق إلا لأنه كان يعرف متى يتقدم ومتى يتقهقر

كان الدكتور جابر وكثير غيره يعرفون أن مصطفى كان من القادة المتحولين والمتقلبين في مبادئهم بحسب الموجة، ومن يفترض بهم أن يعيشوا طويلاً ولا يموتون في ساحة القتال، وأن تستمر حياتهم ليصلوا الى المناصب الرفيعة بتكتيكهم المعروف والمدعوم من داخل التيار نفسه، بينما يذهب الأغبياء من الضحايا وقوداً للحرب بالعشرات والمئات وهم أصحاب المبادئ من أطراف الصراع بين الإخوة الأعداء، ولولا دوره الذي لا يعلمه الكثيرون فيما خطط ونفذه لما أسر مصطفى حتى الأسر

مارست سلمى ضبط النفس مؤقتاً، لكنها ما لبثت أن مارست التطبيل للشهيد الحي عبر مؤسستها، بينما ظل الدكتور جابر على هيئته غير مبال بشيء كان، كمن فقد إحساسه بأي شيء، ولم يعد يهمه أمر العالمين بأجمعهم لقد خسر كل شيء ولم يعد مبالٍ بأي شيء،

في الليلة التي يفترض أن تكون الأخيرة فيما بينهما بحسب الاتفاق، كانت سلمى صريحة مع زوجها الحالي الدكتور جابر، فقد طلبت منه أن يوضح لها بعض الأمور بكل صراحة بعد أن وعدته أن تبقى تلك المعلومات بشكل سري لديها، ولا تخبر أحداً عنها مهما يكن الأمر، لقد أوضحت له أن انفصالها عنه لا يعني أنها ستعود الى زوجها السابق مصطفى ناصراً رغم رسائله الاستعطافية إليها، لأنها تفضل أن تعيش حياتها بعيداً عن الأضواء والمظاهر السابقة، فقد تعبت من الحياة برمتها

كان سؤالها بطبيعة الحال عما جرى في تلك الليلة الأخيرة التي سبقت أسر زوجها السابق، وبالضبط كانت تريد أن تتأكد من تلك الإشاعة التي انتشرت مؤخراً بين البعض على استحياء، والتي تتحدث بأن ما جرى لمصطفى كان مدبراً عن عمد، وأن مركبته

العسكرية لم تكن تحوي على بنزين كافٍ ما أدى الى وقوعه في الأسر وهو ما كان سيؤدي الى مصرعه بالفعل، كانت الاشاعة تتحدث عن فعل مدبر عن عمد من قبل رفيقه جابر

جاءها الرد من الدكتور جابر باختصار وبكل برود أنه يتحمل المسؤولية كاملة لما جرى لمصطفى ناصر، إنه يتذكر أنه قام بتعبئة البنزين في تلك الليلة ولكن بشكل غير كاف، وهل كان ذلك عن عمد أم لا فإنه لن يفصح لأحد عنه لأنها سوف تسأل عن الأسباب، وهو لن يتحدث عن شيء خاصة في هذا التوقيت، وكرامته لن تسمح له بالاستجداء، كما أخبرها أنه لا يهتم إن عادت إلى مصطفى ناصر او غيره وكل ما يهمه هو أن تعيش في سعادة مهما يكن الأمر

التظاهر بالبرود لم يستمر كثيراً فقد اغرورقت عيناه بالدموع وهو يتحدث عن أسفه لفشل العلاقة فيما بينهما، تأكدت سلمى أن ما جرى لمصطفى كان من تدبير زوجها الحالي جابر وقد كانت الوحيدة التي ستفهم الدوافع حتى ولو لم يصرح بها جابر لكن شغفها كان الدافع من وراء سؤالها الذي عرفت الإجابة عنه للتو ضمناً، لكنها تريده منطوقاً لحاجة في نفسها:

- هل فعلت ذلك من أجلي يا جابر
- لا أريد من الجواب أن يكون قيداً يكبلك لذا فلي الحق في الصمت، اذهبي حيث تشائين فانت حرة

هنا ترقرت الدموع من مآقيها

وبعد أن حصلت على معلومات حول كل ما كان يدور في رأسها، كانت ردة الفعل الغريبة التي أذهلت جابر بروفيسور علم النفس نفسه، لقد عاش في تلك الليلة مع سلمى أروع ليلة في

حياته، أعطته فيض حبها وسلمته جسدها بكل سخاء وأمتعته حتى ارتوى وأصبح راضياً عنها، وكأنها الليلة الأولى التي يقضيها معها، وعند الفجر كان عليهما الرحيل الى مكان مجهول

وهذا ما كتبه أستاذ الفلسفة جابر في مقاربته الفلسفية عن المرأة بعد تلك الليلة (ما أشهى حواء مع الخطيئة، من يدعي إحاطته المعرفة الكاملة بالمرأة فهو غبي، في الجنة كادت حواء أن تهجر آدم وتلتحق بإبليس الى الأبد، لكن آدم أدرك السر فارتكب الخطيئة، وهبطت حواء من الجنة تعشق إبليس وغروره الذي لامس شغاف أنوثتها، ولكنها تبحث عن آدم المغامر الأحمق الثمل من وزر الخطيئة، اختار آدم جنته ووطنه الأبدي حزن حواء لأنها بالنسبة إليه قدرٌ لا مفر منه، وفضلت حواء الفناء على البقاء الأبدي والنعيم في الجنة، فكان آدم اختيارها ورغبتها الحرة، رغم أنها أبقت الباب موارباً ليبقى الشيطان رهن إشارتها وبناتها إلى الأبد، ولأنها من ضلع طيني أرضي، تسكرها رائحة الطين، وتعيد اليها خلقها الأنثوي الأجمل، الله سيغفر كل خطيئة يرتكبها الرجل لإرضائها، المرأة ابنة حواء تريدك مغامراً جسوراً، ترتكب الخطيئة من أجلها لتجني السعادة كاملة من بوتقة رضاها، ما أشهاك وأبهاك يا ابنة حواء في ظلال الخطيئة، الأنثى هي الوجه الآخر لثوراتنا العمياء التي تقدس المغامرين من اللصوص والفاستدين، وتلقي بالأغبياء من المؤمنين بالفضيلة والقيم وقوداً لحروب لن يجني ثمرتها سوى الأوغاد)

لم يجد الدكتور جابر منطقة آمنة أفضل من منطقة المعسكر النائية والتي أصبحت مهجورة مؤخراً، حيث كان يقيم مع قائده مصطفى ناصر ذات يوم، لكنه بالرغم من ذلك تفاجأ بعد فترة من الزمن عندما اقتحم مصطفى ناصر عزلته مع زوجته سلمى التي

كانت حاملاً بطفلهما الأول، كان من السهل على مصطفى ناصر أن يوثق الدكتور جابر بالحبال، لكن ركونه على سلمى كانت غلطته فقد انتزعت المسدس المهمل على الأرض لتوجهه إلى مصطفى ناصر المتفاجئ حد الدهول

- ألم أرسل اليك كتاباً أن تدعني وشأني مع زوجي وابن عمي في تلك الليلة الأخيرة التي رحلت فيها
- نعم لكنني ظننت أنك كنت مجبرة على إرسال مثل تلك الرسالة وأنت قد اختطفتي
- أنت تكذب لن تجعلنا نعيش بسلام لأنك تكذب

وهنا انطلقت زخة من رصاصات المسدس لتنتشر في جسد مصطفى ناصر

وعلى إثر ذلك كان الانهيار الذي نال من سلمى، ليتجدد اللقاء المحموم ويتجدد العطاء بلا حدود على رائحة ذلك الدم المنبثق من الجثة المهشمة

التوأم

كل ما كان على سميرة أن تفعله هو أن تذهب بإجازة أختها التوأم أميرة الى مقر عملها حيث كانت تعمل كمديرة تنفيذية لإحدى المؤسسات السياحية في البلاد، وبالإضافة الى التطابق الكامل في الشكل بحيث لا يستطيع أحد أن يفرق بينهما، فمسيرتهما الدراسية كذلك شبه متطابقة، وصولاً إلى تخصصهما الجامعي في إدارة الأعمال، وكلاهما كانت تجيد الفرنسية والإنجليزية بالإضافة إلى اللغة العربية، ولكن مهما يكن التطابق يبقى للفروق في الشخصية الكلمة الفصل في تقرير المصير، فأميرة الجادة الطموحة والتي تأسرها المظاهر هي على العكس تماماً من سميرة البسيطة والمرحة دائماً والطيبة القلب بدون تكلف أو تظاهر، ولعل هذا كان السبب في أن تحظى أميرة بفرصة وظيفية أفضل من أختها سميرة، حيث أصبحت أميرة المدير التنفيذي لمؤسسة سياحية كبرى في البلاد، بينما كل ما وصلت إليه شقيقتها التوأم سميرة أن أصبحت مدرسة للغة الفرنسية، وها هي تعد العدة للزواج من خطيبها وزميلها في التدريس لمادة اللغة الفرنسية العربي الجنسية زيدان، بينما انفصلت أميرة عن أسرتها واستقلت بحياتها، بحسب ما تقتضيه طبيعة عملها

ما إن وصلت سميرة إلى الشركة حتى استقبلتها السكرتيرة عادة، التي لم تشك للحظة أنها مديرتها أميرة، كانت سميرة تعرف الكثير عن عادة من أحاديث أختها أميرة عنها، أخبرتها عادة عن استياء رئيس الشركة من غيابها اليوم الأول، وقد تم تأجيل الاجتماع الهام للشركة بسبب تغيبها بالأمس، وعلى عكس أختها أميرة التي كانت تصف سكرتيرتها الجديدة التي تم تعيينها بالشركة منذ أسابيع قليلة بالغيبة إلا أنها وجدت فيها عينان ثاقبتان لا تتناسب ووجهها الطفولي الجميل، وكانت تصرفاتها تنم عن

ذكاء، وكلماتها محسوبة وليست كغيرها من الفتيات الثرثرات اللاتي يتفوهن بأي شيء

شيء ما جعل سميرة تحس أن تصرفات عادة الحمقاء وكلماتها الغبية كانت مدروسة أيضاً، وقد أغراها عدم اكتشاف عادة لشخصيتها القيام بالمغامرة خاصة وأن حالة شقيقتها في الفترة الأخيرة ليست مطمئنة، وجدت سميرة نفسها أمام معركة تحدٍ قررت أن تخوضها ليوم واحد وهو أن تتقمص شخصية شقيقتها في العمل، كان الاجتماع مع المدير رئيس مجلس إدارة الشركة ذلك الشاب الخلق وسليل الأسرة الثرية روتينياً، وبعد الانتهاء من الاجتماع تم استدعائها إلى مكتبه، وهنا عرض عليها وهو يتصبب عرقاً رغبته في الزواج منها، وعدته أن تفكر في الموضوع، وكان فرح عادة وامتنانها لسميرة أكثر من فرح المدير نفسه، ومن شدة انفعالها بكّت وهي تحدثها أنه إذا كانت إجابتها بغير ذلك فلربما فقدت هي وظيفتها، وكانت تتساءل عن سر تغير موقفها المفاجئ، ولكن إجابة سميرة لم تزد عن الابتسام، ما زاد الموضوع غموضاً عند عادة المذهولة من هول المفاجأة،

جاء الاتصال عبر تلفون المكتب من شخص بدا صوته مألوف وهو يهاتفها بلغة فرنسية طليقة، وبعد أن حدد معها الموعد للقاء في عصر ذلك اليوم، تركها غارقة في تساؤلاتها، في عصر ذلك اليوم ذهبت للقاءه لينكشف أمامها ستار الغموض، وفي إحدى المولات الشهيرة في قلب العاصمة صنعاء وفي أحد المقاهي الراقية كان اللقاء، رحب بها بلغة عربية ركيكة

- أهلاً سيدتي يوماً بعد آخر تزدادين جمالاً
- شكراً

استطاعت أن تتمالك نفسها وتخفي دهشتها وكان من حسن حظها أن دخل في الموضوع مباشرة

- سأدخل في الموضوع لأنه لا وقت لدي كي أضيعه، لقد تم تغيير موعد العملية، وتم تحديد الموعد بالضبط وسيكون بعد غد، وهذا يعني أن كل التسهيلات المطلوب تنفيذها منك ستكون جاهزة لأستلمها في الغد وفي نفس هذا الموعد والمكان بالضبط، والا فإن أختك الجميلة سميرة ستلقى مصيرها الأسود المحتوم، ولا أعتقد أنك تحبذين ذلك، وفي حال نفذت ما طلبته منك سأغادر هذه البلاد وأتركها وشأنها، وستكون نسبتيك من العملية محفوظة وهي خمسة وعشرون في المائة، وهذا وعد شرف مني، إلى لقاء يوم غد

وقبل أن يغادر:

- أود أن أهنئك، لقد أخبروني أنك قد وافقتِ على ذلك المعتوه الشاب أخيراً، واقترب منها أكثر ليهمس في أذنها: هنيئاً له التمتع بهذا الجسد البض الثائر والجمال الباهر، كم كنت أتمنى أن أنال حظاً من هذا الحسن الفاتن

- كل شيء بثمان ولك ما ذكرت في حال دفعت جيداً

- قهقه ضاحكاً، يا الله من أرى، وكيف تغيرتِ إلى هذا الحد يا فتنتي، أنا كريم مع النساء وهن نقطة ضعفي، ولماذا كل هذا العناء في الحصول على المال أصلاً، خمسون في المائة أليست نسبة جيدة من ثروة ملوك حمير، ما رأيك يا سيدتي الجميلة

قال هذا وهو يتحسس خدها متناسياً أنه في مكان عام

- أنا موافقة

- وهو كذلك، باي كيوتي الجميلة

عادت سميرة إلى الفيلا التي تسكنها أختها وهي غاضبة منها وعندما صارحتها بكل ما جرى لها

- إنها الأقدار تلعب لعبتها إذاً هل يعقل أن يحصل كل هذا في يوم واحد وعلى العموم أريد أن أخبرك أمراً، أنني كنت قلقة عليك من هذا الوغد خطيبك الذي كان يخدعك ولذلك استدعيتك قبل أسبوع، لتبقي معي في منزلي هذا الذي نبذتموني فيه

- نحن لم نبذ أحداً، ولكنك بتعاليك وغرورك من نبذنا، وأنا سأخرج إكراماً لتعاليك المزمّن هذا

- أنت تريدان أن تهربي فقط بعد أن أحسست أني في ورطة هذأت سميرة من روع أختها التي انفجرت باكية:

- حسناً سأساعد في إنهاء هذا الأمر لأنه متعلق بنا وبعد ذلك لكل حدث حديث، لدي خطة

- ولكن يجب أن تخبريني بكل التفاصيل بالضبط وماذا يريد زيدان منك - حسناً إنه يمتلك شركة سياحة وقد تعامل مع شركتنا وهو في الحقيقة صديق رئيس مجلس الإدارة عادل عباس، ولكني بعد أن اكتشفت بعض الأعيه وحذرت منه استطاع أن يبعد الشبهات عنه وبعد أن رأى تصميمي على الإيقاع به، حضر قبل أسبوعين وكشف كل أوراقه وأخبرني أنه خطيبك، وأن علي أن أسهل له الدخول إلى الموقع الأثري الذي يحتوي على كنوز حميرية وآثار من الحقبة الحميرية، وكنت على وشك أن أطلع المسؤولين في الدولة عن تلك الآثار لكنني اكتشفت أنه يمتلك أذرع عليا في الدولة متواطئون معه، كما أنه هددني أن يثأر منك ولذلك ما كان علي سوى الانصياع لطلباته، وكلما قدرت عليه هو أن استدعيك إلى منزلي خوفاً عليك، وقد قمت باستئجار منزل آخر، للبقاء فيه في حالة الطوارئ

- حسناً سأتولى الأمر وعليك أنت تبقي في السرير هذه الساعات القليلة القادمة، فأنت مريضة والا انكشفنا

في اليوم التالي التقت سميرة بزيidan وسلمته كل التسهيلات المطلوبة للدخول إلى موقع التنقيب، والخروج بسلام ومن ثم ذهبت معه إلى منزله، وفي ذروة انتشائه السكري دست له الجرعة المنومة قبل أن تأخذ جواز سفره ولتكتشف أن في حوزته جوازي سفر، بعد أن عادت إلى المنزل وجدت أن أحد الجوازين باسم زيدان خطيبها والآخر باسم وردان، لقد اتضحت لها الرؤية أكثر، فالصور في الجوازين تثبت أن هناك خطأ ولا بد أن تفعل تحرياتها

كانت قد وضعت ورقة تخبره فيها بأن الجوازات لضمان تحويل النسبة المتفق عليها بعد التنفيذ

وبعد أن قام بتنفيذ العملية وسرقة الكنز الحميري، استطاع أن يختطف أميرة من منزلها، الذي كان مرصوداً، كما كانت تتوقع سميرة التي طلبت من شقيقتها مغادرته، لكنها رفضت بإصرار

تفاجأ بتواصل سميرة معه واتفقا على أن تأتي هي لتسليم الجوازات وتستلم شقيقتها التوأم

كانت سميرة قد اكتشفت لعبة وردان الذكية من خلال الجوازين كما عرفت سر اختفاء خطيبها زيدان وأنه لم يكن سوى شقيق زيدان التوأم، ولم يكن عليها سوى مراقبة السكرتيرة عادة لتكتشف المكان الذي أخفى فيه وردان شقيقه زيدان خطيبها

وبعد أن قامت بتحريره، كان عليها أن تحذر أميرة لتنتقل من المنزل الذي كانت تعرف عنه سكرتيرتها عادة، لكن تحذيرها قوبل بالرفض، وبينما ذهبت إلى مقابلة وردان في المنطقة التي حددها، ظهر زيدان في الوقت المناسب، بينما كان وردان قد غدر بالفتاتين وهو ينوي تصفيتهما في تلك

المنطقة، وهنا كانت المفاجأة الكبرى للقناص الذي أو كله وردان حمايته ومساعدته في حال حدث طارئ

وفي خضم العراك بالأيدي بين الطرفين، استطاعت سميرة اسقاط مسدس وردان من يده، سُمع دوي رصاصة سقط معها القناص الحليف لوردان من بناية عالية في المنطقة، ويبدو أن طلقة قد أصابته من البناية الموازية، نجح زيدان في التغلب على وردان، وتم إلقاء القبض عليه والزج به في السجن، واعتذر زيدان لخطيئته سميرة عن عدم افصاحه عن وجود توأم له يعمل في المافيا وتهريب الآثار، بينما تم تسليم غادة إلى الشرطة كذلك بدعوى التجسس والمشاركة في نهب الآثار التاريخية للبلاد

رمال متحركة

لم يطمئن قلب قائد فريق التفتيش الدولي زكريا محمود لمجريات الأمور، رغم أنه بذل مجهوداً كبيراً في التحقق بطرقه الخاصة، زكريا هو رئيس منظمة (إنقاذ الأطفال المستخدمين في الحروب) والتي تُعنى بإنقاذ الأطفال الذين يتم الزج بهم في الحروب المستعرة، لكن زكريا في هذه المرة و رغم مرور ثلاثة أيام على إنقاذ مائتين وسبعة وثمانين طفلاً وإخراجهم من السجن، ما يزال يعتقد أن هناك من الأطفال من لم يتم الإفراج عنهم، بالرغم من أن عدد الأسرى المفرج عنهم يطابق ما تم رفعه في الكشوفات من الطرف الآخر، وقد تم استفسار مدير السجن عن حالات أخرى يحتمل تواجدها و لم يلق لها بالاً، وقد واجهه مدير السجن بقساوة متهماً إياه بالخروج عن القواعد السليمة للتعامل، والبحث عن معلومات خارج إطار اختصاصه، هذه المتاعب التي لا يتمنى أي شخص يعمل في منظمة إنسانية مواجهتها، فكل الأطراف السياسية تنظر بعيون الشك والارتياح دائماً للأعمال الإنسانية، وللقائمين عليها وخاصة في أوقات الحروب، وليس هناك أقدر من هذه الحرب التي يزج فيها المتحاربون من جميع الأطراف بالأطفال كوقود تسعر نيرانها، غير أنه يحاول أن يفصل بين ذلك الوسواس الذي يملأ قلبه، عن احتمالية وجود أسرى آخرين في هذا الموقع الذي يرتبط في ذاكرته بقضية مماثلة وبين الواقع الذي يجب أن يكون

ولذلك فهو يحاول أن يحاسب نفسه بعيداً عن وطأة العقدة التاريخية المرتبطة بالجغرافيا، كي لا يكون أسير عقدة نفسية نتيجة لما تعرض له في صغره، لكنه قد عمل كثيراً في مناطق حروب مختلفة، وأطلق الكثير من الأسرى الأطفال، ولم يكن هذا الشعور يلح عليه بهذه القوة، أو ربما لأنه حالياً في نفس الظروف التي عانى منها صغيراً وفي نفس الموقع تقريباً، وهذا ما جعله يسترجع كل معاناته دفعة واحدة، عليه أن يعترف أن هذه العملية كانت مختلفة بالنسبة إليه منذ البداية

ها هي ذاكرته تستعيد أحداث مر بها في نفس المكان، ولم يتغير الكثير رغم الزمان الطويل الذي مر سريعاً، لكنه فخور بما تحقق في حياته، وها هو شريط الذاكرة يستعيد جميع التفاصيل دفعة واحدة رغم مرور ما يربو على ثلث قرن من الزمان، وهو الآن على مشارف الخمسين من العمر، وكأن الأحداث وقعت بالأمس، وعادت به الذاكرة لتلك الحرب الضروس التي تشبه في ضراوتها حرب هذه الأيام، والتي راح ضحية لها ووقع في الأسر وهو في الخامسة عشر ولم يكن قد مر على زواجه سوى ستة شهور

ما أكثر ما تتناسخ هذه البلاد تأريخها الدموي البشع على فترات تطول أو تقصر، ثلث قرن من الزمان وها هو الحال يعود إلى سابق عهده الدامي الذي لم يعرف الهدوء أصلاً، ثورات بائسة تنتهي بالتماس تدخلات خارجية ولا نتيجة، يا ترى متى تحصل هذه البلاد التواقة للحرية والعيش الكريم إلى قادة وطنيين حقيقيين لا تهمهم النياشين والألقاب الوطنية والدينية المزيفة نظير ثوراتهم الخداج، الكارثة أننا سنجد وبحسبة بسيطة أن فترات السلم والاستقرار في هذه البلاد أقل من أوقات الحروب

الفارق أنه في هذه المرة في موقع مسئولية يحتم عليه القيام بالمهمة التي نذر نفسه لها، وهي إنقاذ الأطفال الذين يزج بهم في الحروب ثم يقعون في الأسر، لقد ظل في الأسر عشر سنوات في الماضي ولم يسأل عنه أحد، ولأنه كان يحمل عقيدة لا تلين تم تعبئته بها بشكل مكثف، فقد كان صلباً مع السجانين وحمل على كاهله رسالة أن يقوم بنشر ما يؤمن به، ومظلومية القضية التي تبناها حتى الموت، وهذا زاد من معاناته ووضعته في سجن انفرادي، وتمت معاملته معاملة خاصة، لكنه لم يهدأ أو يلين، بل على العكس زادت مشاكسته وتمسكه بما يعتقد

و مع مرور الوقت توطدت العلاقة بينه وبين مدير السجن، خاصة في السنوات الثلاث الأخيرة، أصبح مدير السجن يعطف عليه ويمنحه بعض المزايا، وتم نقله إلى غرفة في السجن أحسن حالاً، يتوفر فيها التلفاز والتكييف، لكنه في البداية قابل كل ذلك بعناد وتصميم أكبر على الصمود، وكان يعتبر نظرة العطف التي يلمحها في عيني أمر السجن ليست أكثر من عمل استخباراتي لعين لاستمالتة عن الحق والمبادئ العظيمة، للوصول إلى تجنيده في صفوف العدو، وهذا ما لن يفعله مهما يكن الثمن، إنه يتفهم الآن لماذا تتعمد الحركات المتصارعة أن تحشد لصراعاتها الأطفال، لأنهم يشكلون أفضل الوقود في ذلك السن الذي سيستقبل الأفكار بسهولة ويعتبرها مقدسة

غير أن ذلك السجان استطاع أن يخرج من عزلته وأن يطمئنه وهو في سجنه، وعليه أن يعترف بتأثير ذلك الرجل عليه، ودوره المفصلي في تغيير حياته جذرياً، من خلال المواقف الإنسانية النبيلة التي أسبغها عليه، مع تذكر مدير السجن طافت عليه ذكرى والده الحنون الذي غادر هذه الحياة وهو في سن العاشرة مخلفاً في نفسه انكساراً لم يُجبر، استطاع أمر السجن أن يحرره من أغلاله الداخلية التي كانت تكبله، وأن يمسح الأفكار الخاطئة عن الآخر ويخفف من عناده، ثم يعطيه حريته

دون مقابل، نعم دون مقابل لأنه لم يعد موجود على قيد الحياة بالمعنى
الوثائقي

كانت الحرب كالعادة قد وضعت أوزارها فجأة كما بدأت فجأة دون
مقدمات، وعادت المياه إلى مجاريها بين الإخوة الأعداء، أصبح الآن
يفهم اللعبة على عكس ذلك الزمان الذي كان فيه متحمساً للتضحية بنفسه
في سبيل القضية، القضية التي خانها أصحابها مقابل البقاء في السلطة،
أو ربما أن الهدف الحقيقي غير المعلن للحرب هو البقاء في السلطة
ولكن بوسائل ثورية يذهب ضحيتها الفقراء والأطفال ليبقى الأوغاد
يتمتعون بالثروة والسلطة و يتفخذون الحوريات الجميلات ويرسلون
الأغبياء إلى حوريات الغيب و المجهول بشيكات بلا رصيد، من هو
الشیطان سوى الإنسان الذي يدعي الكمال ليمارس حق السدانة للدين،
ويعتبر نفسه ظل الله في الأرض، ويستغل الضعف البشري الفطري،
ليمنح نفسه الحق أن يفسر الأمور الغيبية على طريقته الخاصة

عن الحرب السابقة الدامية الضروس التي كان أحد ضحاياها، يحدث
نفسه هل عرف الشهداء من كلا الطرفين أن الطرفين قد اتفقا، وما يدمي
القلب أن الدماء لم تجف، وإذا بحرب ثانية ضروس ستتدلع بمسببات
واهية، عبر التاريخ البشري اللعين سيكون إبليس نفسه عاجزاً أن يفسر
أسباب حرب مدمرة ذهب ضحيتها الآلاف، وكلما كانت الحرب أبشع
كان التفسير المنطقي أعجز من أن يبرر تلك الحرب، الإنسان المنحرف
هو الكائن الوحيد الذي سيعرف أن يبرر إجرامه لذلك اختلق شخصية
الشیطان

وما زالت تلك النصيحة التي أعطاه إياها ذلك السجان الرحيم، تطن في
أذنيه بعد أن خلصته من مأساة كانت ستودي بحياته، فعندما أحس
بحماسه للعودة إلى عائلته، وعدم قبوله بالبقاء لديه أهدى إليه نصيحة

كان غافلاً عنها تماماً، وحتى عندما أعطاه إياها لم يأبه لها، لكنها الحكمة التي تختزل السنين الطويلة من التجارب:

كن على حذر يا بني، وأنصحك ألا تصطدم عندما تجد أن أموراً كثيرة قد تغيرت، وأن حياتك قد تم العبث بها، وأنتك لن تلقَ الحفاوة التي تتوقعها لاستقبالك، وعلى العكس من ذلك ربما ستكون ضيفاً ثقيلاً، توقع أن تؤلم عودتك البعض وتؤذي آخرين
وعندما أطرقت برأسي أردف:

أنصحك ألا تظهر على حقيقتك حتى تتأكد مما آلت إليه الأمور في قرينتك، وفي حال واجهتك المشاكل أرجو أن تعتبر منزلي هو منزلك، وألا تضع أي اعتبار لهذه الحدود التي وضعها الساسة فنحن لا شأن لنا بها، نحن يا بني جيران في الحقيقة شئنا أم أبينا، فأنا أقرب إليك من عاصمة بلادك كما أنك الأقرب إلي من عاصمة بلادي، نحن أقرب إلى بعضنا من الساسة الذين يسوقوننا إلى المجهول، ويجب أن نكون أحراراً، إلى الحد الذي نستطيع معه أن نفكر بحرية على الأقل، حول ما يصلحنا أو يضرنا

لقد كانت نصيحة لا تقدر بثمن، وفي خلال الفترة القصيرة التي عشتها في بلادي، والتي عشت فيها متكرراً كشخص غريب، لم يكن يريحني في ظلام الليالي، وظلام غربة نفسي بين أهلي وإدراكي لحدود رموز القيادة للتضحيات التي بذلتها وأمثالي، سوى أن أطل من شاهق ذلك الجبل العالي لأراقب تلك البلاد المجاورة، والتمس الضوء من ذلك القلب النبيل سجاني الذي أصبح أقرب شخص لدي، بل الوحيد في هذا العالم

الذاكرة الشعبية أيضاً ليست جاحدة، بين الحين والآخر كنت أسمعهم يندبون حظي العاثر في تركي ورأي تلك الجميلة زوجتي ليفترسها أحد جلاوزة السلطة الجدد، ذلك التافه الذي لم يكن له أي قيمة أخلاقية أو

ثورية واعتمد على تركته التي ورثها ليصبح أحد أقطاب السلطة المستجدة، وبينما كان يتمتع بكل ما وهبته السلطة من نعم لم يتخيلها، كانت زوجتي إحدى السبايا التي بسط نفوذه عليها، وكنت أنا أحد الضحايا في صفقة المؤامرات القذرة وكالعادة يتم التضحية بالصادقين والشرفاء مقابل أن تنجح الثورة شكلياً، في نظر الجماهير المخدوعة، وسأصبح أنا وأمثالي العبء الذي يجب التخلص منه مقابل الانتقال من العصر الثوري إلى عصر الدولة الهزيلة والكسيحة، التي ستولد من رحم مفاوضات كأطفال أنابيب يحتاجون لشرعية طبية للظهور إلى أرض الواقع

كانت أميمة الوحيدة التي تفرست في ملامحي بعمق في ذات نهار إلى الدرجة التي أشحت بنظري عنها قبل أن تتساقط الدموع من عيني فتفضحني، كانت نظراتها غريبة لم أستطع تفسيرها إلا في المساء، حيث كنت أغالب وحدتي بجانب تلك النوارة في المسجد الصغير المهجور الذي يجاور منزلهم الكبير، كان ذلك المسجد قد أصبح مهجوراً منذ تم بناء ذلك المسجد الكبير للأهالي، وهذا كل ما حصلت عليه القرية من منجزات ثورية

و إذا ببهاء وجهها يضيء ذلك المكان الخرب، وإذا بالدفء يتسلل إلى كل خلية في جسدي، والطاقة تعود من جديد إلى روحي، يا إله المعجزات الكبرى كيف حدث هذا ما بين تفكيري في وسيلة للتخلص من حياتي وما بين ظهورها، كان الحدث الانفجار الكوني العظيم لروحي الثملة من قهر الهزائم، وضعت الطعام بجانبني، لأنهمض من استلقائي جالساً، أتأملها باندعاش لفترة من الزمن، لقد جاءت في وقت لم أعد فيه مؤمناً بقيمة أو فضيلة وإلا اعتبرتها إحدى حوريات الجنان، جاءت لتعوضني نظير تضحياتي، ولم تطق صبراً لملاقاتي، فهربت من الجنان لمعرفتها أنني أشد احتياجاً إليها في هذا الوقت، من ذلك المستقبل الغيبي المبهم، نفضت

عن خاطري تلك الهواجس البالية قبل أن أنهض من استلقائي جالساً
لأواجه ذلك الجمال الرباني الشاحب، وأشارت هي إلى المائدة التي
تتوسطنا:

- تفضل كل أيها الغريب
- وهل يستقبلون الغرباء لديكم بكل هذه الحفاوة
- ليس جميعهم
- ولكني...
- ستأكل أولاً أيها الغريب ثم لكل مقام مقال
- ما زالت كما عهدتها قوية الشخصية
- لن أكل إلا في حال أكلتِ أنتِ معي
- تناولنا أكلنا صامتين سوى من نظرات مختلصة
- ونحن نتناول الشاي
- كنت من الغباء لأقول:

- ألا يبحثون عنك الآن
- من سيبحث عني لا أحد في هذا المنزل، زوجي سافر في هذا اليوم
- مع ولدي، وأنا على كل حال سأغادر الآن، تصبح على خير أيها
- ال.....

- أليس لك اسم أيها الغريب لأدعوك به
- على كل حال فلتكن على حذر فهذه القرية ليست آمنة لأمثالك

نطقت تلك الكلمات وصوتها يتهدج

- يكفيني أن نساءها لطيفات إلى هذا الحد الذي يكرم من فيه الضيوف
- بأنفسهن
- لا تكن مغفلاً، ليس هناك زوجة لا تعرف زوجها

أمسكتها بيدها قبل أن تنهض من جلستها، فاضت عيناها بالدموع، احتضنتها بلطف، وربت عليها بحنان، أرخت رأسها على كتفي ونشيجها المكتوم المتقطع يمتزج مع أنفاس روحينا الملتاعة، لم أعد أذكر الكثير، حاولت أن تتمنع لكن يبدو أنها لم تعد تملك زمام السيطرة على جسدها، الذي خانها ليستلقي في وداعة بين ذراعي اللتين احتضنته بكل رفق، وإذا بهمهمات تتحول إلى فحيح ثم شهقات تتخللها أنين متقطع، وبعد محاولات عدة، استطاعت أن تطفئ النوار، قبل أن تفجر طاقاتها الكامنة، لم يبقَ شبر في ذلك الجامع الصغير إلا وأخذ حظه من الجسدين اللذين اتحدا في عناق متوحد، ليصنعا أجمل معركة بين طرفين متكافئين في الاشتياق، ولا شك أن الملائكة قد باركوا تلك العاصفة الجميلة التي اجتاحت الجامع، أكثر من أي صلاة أخرى عبر تأريخ المسجد المهجور، ثم كان الهدوء، ومن زرع في حواء الاستسلام المسبق إلى الخطيئة، زرع فيها التوبة والندم المفرط كعقوبة، إنه التناقض الذي يجعل الأشياء أجمل

- كل هذا في بيت الله، لن أسامحك عمري، ألم تخف من الله
- الله موجود فقط في قلب الضعفاء، لقد ظل في قلبي سنوات طويلة أعبده وأقدس في الليالي الظلماء والمكان المظلم الذي لم يقده فيه بشري قبلي، لكنه لم يساعدني لقد ترك زوجتي فريسة للذئاب، ولم يحم ثورتي من السرقة، لقد سطا عليها اللصوص
- أستغفر الله، هل عدت كافراً
- لست كافراً أو مؤمناً، ما عاد شيء من هذا القبيل يهمني، كلما ضحيت من أجله في هذا العالم انهار، ولم يعد يجديني البكاء عليه نفعا
- يجب أن تستعيد ثقتك بالله، أخبرني ماذا جرى لك، لقد أخبرونا أنك استشهدت بعد أن عذبوك في السجن

- هذا هراء، لقد تركوني وحيداً، لم يطالب بإطلاق سراحي أحد،
ولولا ذلك الرجل الذي كنت أنوي قتله بعد أن أخرج من السجن
من شدة كرهى له لما خرجت، وليتني لم أخرج، فكل ما ضحينا
من أجله ذهب هباءً

- ليس كل شيء، ولدك نبيل بخير

- وأنتِ..

- أنا لم أتزوج إلا منذ عامين، لكنك ما تزال في قلبي
- لقد تأخرت يجب أن أذهب، وأنت لا بقاء لك هنا، إن اكتشف أحد
أمرك سيقتلك، سيقتلوننا جميعاً مع ولدك

- لم يعد يهمني شيء، سأواجه قدري

- أرجوك لا مناص من الاعتراف بالهزيمة أحياناً، من أجل ولدنا
ألا تحب أن تراه لقد أصبح شبلاً كأبيه، لقد بدأت البحث عن
عروس له

- أرجوك، ماذا تريدني أن أقول له، لا أستطيع النظر إلى عينيه إلا
لو أخذت حقي المسلوب مني، ونظر إليها بشغف وألم وعيناه
تمتلآن بالدموع

ولم يطل غياب الشيخ ناجي في هذه المرة لقد عاد مسرعاً ولا شك أن
قبضته الأمنية على تلك البلاد قوية وأن جواسيسه لا يكونون عن العمل
ليل نهار، ولا شك أنهم قد اكتشفوا علاقة زوجته بالرجل الغريب وذهابها
المكرر في المساء إليه والذهاب بمعيته إلى ذلك الجبل الشاهق وبقائها
معه حتى الفجر

وفي الليلة الأولى لوصوله تم الإمساك بزكريا والزج به في سجن
خاص، وتم تعذيبه بشكل مبرح، وقد أشيع في القرية عن عودة أحد
العملاء والخونة للثورة والنظام الجديد الذي تأسس، وبعد شهر من
العذاب الشديد استطاعت زوجته السابقة، أميمة أن تعمل حيلة لإطلاق

سراحه، بعد أن حكم عليه بالإعدام وتقرر تنفيذ الحكم وتحدد الموعد لذلك الشأن

عاد زكريا إلى منزل سجانه السابق، ليتلقى العلاج المناسب، وليتزوج ابنته كريمة ويرحل من تلك البلاد برمتها، إلى الغرب، حيث أنشأ منظمته التي حظيت بقبول أممي ودعم شعبي كبير، وعادت لتعمل الخير لهذه الأمة المسحوقة في وعيها، المنكوبة في ضمير قادتها، المتأزمة في أخلاقها، حيث تزيد الثورة من تعاستها بدلاً من أن تعيش حياة أفضل،

وهو حائر وسط ذكرياته الماضية التي عفا عليها الدهر ولم تغفها ذاكرته من الانشغال بها، إذ باتصال يأتيه من مدير السجن، ليطلب مقابلته، عاد أدراجه إلى تلك المدينة التي يقبع فيه السجن، ومن هناك أعطاه عنوان المدير السابق للسجن، ومنه عرف أن هناك خمسة من السجناء تم تحويلهم إلى سجن آخر لأنهم كانوا يشاغبون وغير ملتزمين بالنظام واللوائح في السجن، وكان من ضمنهم طفل لم يتجاوز عمره الخامسة عشر

في طريق عودته مع صديقه الصغير كانت مفاجأته الكبرى، لم يعد التاريخ يتناسخ فقط في بلاده لكنه يتناسل ويتوارث بجينات بشرية مستدامة، فالحرية جينات والتطبيع جينات والانتهازيون المتحولون أيضاً جينات، لقد كانت دهشته الكبرى أنه مع حفيده، النسخة المصغرة عنه قبل ما يناهز ثلث قرن من الزمان

وها هو يكمل له الأحداث التي غابت عنه، لقد فرت زوجته السابقة بعد أن أطلقتها من قبضة المجرمين ولاذت بأهلها مع ولدها نبيل، وهو الآن مع حفيده عباس، إنه يذكره بنفسه في ذروة عنفوانه الثوري وإيمانه بالعدالة وبالثورات واندفاعه الجنوني حينها، لقد أشاعوا أنه لقي حتفه

أثناء الهرب، لكن جدته أميمة تنفي تلك الأخبار بإصرار، رغم مجيئهم
ببقايا جثة أكلتها السباع في ذلك الوقت البعيد

- وماذا يعمل والدك يا عباس؟
- يعمل مع الشيخ ناجي، سائقاً لإحدى شاحناته التجارية
- وهكذا ثرنا إذاً ليعمل أبناءنا أجراء مع لصوص الثورات
ومستثمري الحروب
- ماذا عنك يا عباس؟! أريدك أن تبقى معي
- كلا أنا أريد العودة
- ولماذا؟

أريد أن أتزوج بمن أحببتها ومن ناضلت من أجلها، ثريا وهي من أسرة
الشيخ ناجي لقد رأيتها بينما كنت أعمل مع والدي، وقد تبادلت معها
الرسائل، وتم اكتشافنا، لذلك تم طردي من العمل مع والدي وما إن دقت
الثورة الأبواب حتى كنت أول الخارجين ضد سلطة الشيخ ناجي

- وما أدراك أن تلك الفتاة ما زالت تحبك
- لقد كانت إحدى أبرز الثائرات، وقد فسخت خطبتها من ابن عمها
- ودخلت هذه الحرب التي فرضت علينا من الخارج، للحفاظ على
مكتسبات الثورة

ضحك زكريا قائلاً في سره

أنت تحمل نفس عناد جدك، إنها لعنة الجينات حقاً

- ستعود يا بني وقد عادت سلطة ناجي وأبنائه كقادة للثورة الجديدة
- إنهم أعداؤها
- يا بني تلك البلاد ميؤوس منها
- كيف ذلك يا جدي إنها بلاد الثورات المتجددة

- إنها بالأحرى بلاد الرمال المتحركة التي تلتهم كل الشرفاء والأحرار وتبتلع الثورات الشريفة، في بلادنا ليس هناك ثورة أو ثوار حقيقيون، فقط يتم ممارسة غسيل ثوري ويتم تبييض وجوه سوداء قد نهبت أموال الشعب وأهانت كرامته ليعاد تدويرهم كالنفايات تماماً، قادة ثائرون وهم تافهون رخيصون، ولولا اللصوص الذين يخطفون الثورات لما احتجنا إلى ثورة أخرى أصلاً، يقوم الشجعان والأحرار بالثورات ويتم تصفيتهم والتخلص منهم في ظروف غامضة وبوسائل شتى، ثم تخرج الزواحف من جحورها بعد إسباتها لتكتب تاريخ ثورة لم يشهدها، وعند فشلهم الحتمي تنطلق ثورة أخرى وهكذا يتجددون، ولا عزاء للضحايا والتاريخ أين سيهربون منه

- إنهم يزورون التاريخ يا بني
- آه، فعلاً، إنهم يتحدثون عنك أنك ملحد وخائن وعميل، لولا أن جدتي حدثتني بالحقيقة ولذلك خرجت ثائراً، لأعيد الحقيقة إلى نصابها ولأسرتنا ومجتمعنا الاحترام الذي يستحقه

ابتسم زكريا:

- لقد خرجت من أجل ثريا أيها الخبيث، عد إليها ولا تكرر مأساتي، ستعود إليها قوياً سأمنحك المال والنفوذ اللازم للحصول على ما تريد، ولا شك أنك ستحتاج اليهما لتستعيد كرامتك، السلطة والمال هما السبب الرئيسي للثورات ولا عزاء لوقود الحروب، سأمنحك كل ما تريد لتعود قوياً في مواجهة لصوص الثورة، الذين يستغلونها ليمتصوا ثروات الشعوب ويهدرون طاقاتها في حروب عبثية، ومن الحروب نفسها يستمدون قوتهم، ولا تنس أن تعود إلي مع أسرتنا في حال احتجت ذلك، ولا شك أنك ستكون محتاجاً أن تعود إلي، فلا تتردد حينها

عاد عباس بعد ثلاث سنوات من الأسر متخفياً كما نصحه والده، ولم يتبقَ من زفاف ثريا إلى ابن عمها سوى ثلاثة أيام، لقد جاء وشعارات الثورة ترتفع فوق كل ممتلكات أسرة الشيخ ناجي المشبوهة من سيارات ومنازل، ورفاقه الثوار منهم من اغتيل في ظروف غامضة أو جُن أو اختفى، إن الشيخ ناجي وأبناءه أصبحوا هم منظرين الثورة التي لم يقدموا لها شيء كالعادة

استطاع مع من تبقى من رفاقه الأحرار أن يطلق سراح والده من السجن الذي زج فيه بعد أن اعترض على الزواج، كما عادت إليه خطيبته ثريا، لقد تم الاعتذار له من السلطات العليا، وزعموا أنهم لم يزوجوها إلا بعد أن أشيع أنه قتل، إنها القوة والمال الذي يصنع المستحيل

وبين وقت وآخر كان يحدث جدته ووالده عن جده وكيف أنقذه من الأسر، وأخبرهم أنه أحد مشاهير العالم ولكن تحت اسم آخر، بعد أن غير هويته لتسهيل مهماته الإنسانية.

خَبِيَّة^٢

في عشته المتواضعة، وفي زاوية منها جلس الحاج هادي وهو غارق في طقوسه، بينما ولداه سامح ومحمد مع أختهما عفاف يغرقون في ضحكهما على أبيهما ولا تفلح نصائح والدتهم لهم بأن يصمتوا لأن والدهم في حاجة الى الهدوء في عمله، وبعد أن يغفوا والدهم قليلاً يقوم مذعوراً ومن ثم يهرع إليهم بهدوء وثقة المنتصر ليعلمهم أنه فك شفرة الخبية (الكنز)، ثم يوبخهم بشدة لأنهم لا يقدرّون ما يقوم به من مجهود من أجل وضعهم على طريق الغنى والمجد الأبدي، الذي لا يستحقونه، وبعد مجادلة حادة بين أفراد الأسرة، تتحد الأم في رأيها مع ابنتها أن الغنى ليس هو المهم، ويؤيد الأبناء والدهم بأن المال هو روح الحياة، ولا حياة سعيدة وهائلة بدون المال ولذا فإن الأب سيتجهز مع ولديه في تلك الليلة للذهاب الى حيث يوجد الكنز، وقبل أن ينطلقوا في رحلتهم للبحث عن الكنز، ينصح الأب ولديه بأن يصبرا على وعورة الطريق، ويتحملا المكاره للوصول الى مكان الكنز، الذي أصبح يعرف مكانه تماماً

قبل أن يخرج الحاج هادي وأبنائه في رحلتهم، تستدعي الأم زوجها لتناشده وتستحلفه بالألا يكون ثمن حصوله على الكنز باهظاً، كما كان يتحدث منذ عام مضى بأن حارس الكنز يراوده في الحلم ويفاوضه أن ثمن الكنز حياة أسرته، وقد أقسم لها الحاج هادي الأيمان وأعطاه الموائيق ألا يضر أسرته، وأن الكنز لا

^٢ - كنز أثري مدفون تحت الأرض

يتعلق بذلك الحلم، ولكنه اكتشف الطريق بذكائه وأنه لا خطر على أسرته من الكنز ابداً

في ظلام الليل الحالك وفي دروب ملتوية، يصل الفريق الثلاثي الى الكنز، وبداخل الكهف ذلك الثعبان الذي سيتجاوزونه، لأخذ الجوهرة لكن سيكون الثمن هو موت محمد في ذلك المكان حيث سيصبح ضحية للأفعى، ليعود الحاج هادي مع ولده سامح الى قريته وتبدأ أحزان الأم التي لن تنطفئ

ينتقل الحاج هادي وما تبقى من أسرته الى العيش في فيلا واسعة، ويصبح أحد كبار ملاك الأراضي، وكذلك أحد التجار الذين يشار إليهم بالبنان، ويعمل لديه مدير اعمال أجنبي يقوم بالعمل على تسريب المخدرات لولده سامح وجعله مدمناً عليها ولا فائدة ترجى منه

في ظروف غامضة يتم تطليق عفاف ابنة الحاج هادي من ابن عمها الذي كان قد عقد عليها وعلى شك الزواج منها ولا يفصلهما عن الزفاف سوى أيام قلائل

بعد أن تزوج الحاج هادي من شقيقة بينما مدير أعماله الأجنبي أصبح هو الذراع اليمنى للحج هادي والمهيمن على جميع أعماله التجارية والعقارية وله حق التصرف في جميع الأمور

يحاول سامح ابن الحاج هادي قتل مدير أعمال والده، عندها يتم إلقاء القبض على سامح متلبساً بتهمة حيازة المخدرات، ويحكم عليه بعقوبة السجن لسنوات، ليموت في السجن بعد دخوله بأيام قليلة

يترك الحاج هادي زوجته وابنته غارقتان في مآسيهما، ليذهب في رحلة خارج البلاد مع عروسه الجديد، لكن لن تطول تلك

الرحلة السعيدة، ليعود إلى بيته طريداً شريداً مفلساً، ليجد زوجته مريضة تشرف على الموت، وتحدثه بأسى أن ابنته قد انتحرت، بعد أن عجزت عن أن تتحمل ما حل بها وبأسرتها من مصائب، و تتهمه بخيانتها هي وأبنائها ليعيش حياة البذخ على حساب حياة أسرته بكاملها، وتذكره بقسمه الذي أقسمه بأن يحافظ على أسرته، مهما كان الثمن وألا يبيعهم مقابل الكنز، وتدعوا عليه بالهلاك بأبشع طريقة، يقسم لها أنه لم يفرط في أسرته قط لكن كما يبدو حارس الكنز وهو الثعبان قد خانته، وفي هذه الأيام لا شيء مستغرب حتى العفاريت يخونون، وعليه أن يذهب للثأر منه

لا تفلح الأم في منعه من الذهاب وتكون المواجهة غير المتكافئة بين الثعبان والحاج هادي، الذي يوشك على الموت محترقاً بأبشع طريقة، لولا استيقاظه من النوم، وهو وسط كتبه التي يحضر من خلالها الجان، للوصول الى أماكن الكنوز السليمانية المحروسة ومن حوله أبنائه الثلاثة ووالدتهم يحاولون جاهدين إيقاظه من ذلك الكابوس اللعين، الذي كان يراوده أثناء النوم.

فساد منظم

في منتصف الليل الذي بسط جناحه على القرية النائبة، ظهر شبح الدكتور محمد وهو يحمل حقيبته فوق ظهره، ويمشي بثقل وقد أعياه التعب، يعود الدكتور محمد بعد سبع سنوات قضاها في الغربة إلى قريته ومسقط رأسه، وبعد أن يدخل إلى بيته المتواضع وهو عبارة عن عشة متواضعة، تلتقيه أمه بحفاوة وكذلك أخته مريم ومعهما يجلس في مشهد حزن مؤلم يخيم على الجميع، يعرف محمد أن والده قد مات منذ عام كامل ولم تخبره أخته بالخبر لأنها أشفقت عليه من أن يترك دراسته التي كان قريباً من منتهاها

والخبر الآخر الذي ترددتا كثيراً قبل إخباره، هو أن ابنة عمه زينب قد تزوجت بعد أن فسخ والدها خطبتها منه، لكن أخته اضطرت آسفة أن تحدثه بعد أن أخرج الهدايا التي كان ينوي أن يعطيهم أثناء زيارتهم صبيحة اليوم الثاني كما كان يخطط

في مضجعه يستعيد محمد مع نفسه ما كابده في الغربة وهو يدرس الطب الذي تخرج منه حاملاً الشهادة بتقدير امتياز، لكن دون جدوى، فأحلامه قد تبخرت وذهبت أدراج الرياح، ولم يبق بجانبه في تلك اللحظة سوى ثنائي الظلام والدموع التي تنهمر على خديه دافئة سخية

في اليوم التالي، بعد أن يأخذ إفطاره، يذهب ليستنشق رائحة قريته الحبيبة ويمشي في أنحائها ويجلس في القهوة، ويستقبله صاحبها عزيز صديق والده بكل حفاوة وترحاب، ليعلن للجميع

أن كل ما يقدمه من طلبات في ذلك اليوم هو على حسابه الشخصي، احتفاءً بقدوم الدكتور محمد من الغربية

إلى جانبه جلس زميلاه في الدراسة حتى المرحلة الثانوية التي لم يكملها، عبده وقناف يشربان الأرجيلة، ويصل إليه همسهما وهما يستهزئان به وبدراسته التي أضاعت منه والده وخطيبته، وفي هذه الأثناء يظهر صديقهما الثالث صابر الذي يجلس إليهما، لكنه ما إن يرى محمد حتى يذهب إليه ليصافحه ويسلم عليه، ويعود إلى عبده وقناف ليعاتبهما لأنهما لم يقوما بواجبهما تجاه الدكتور محمد، لكنهما لا يصغيان إليه ويواصلان سخريتهما، فيما يعود هو إلى صديقه محمد ليواصل معه حديثه، ويتأسف صابر مما جرى من فسخ خطبته، فصابر هو ابن عم محمد وأخو زينب خطيبة محمد السابقة

قليلاً من الوقت، ويظهر جابر بسيارته الفارهة ليدخل القهوة، ويستقبل بحفاوة خاصة من قبل عبده وقناف، التابعان المطيعان له، وبعد أن يقدم له الخدمات، يخبراه أن محمد قد وصل فيجيب عليهما بسخرية:

- ومن قلكم إنني ما ناش داري ما بش ذبابة بتدخل القرية بغير علم الشيخ جابر وتنطلق ضحكة قوية منه، قبل أن يضيف:

- خلونا نرتاح شوية ونقوم نسلم على الضيف حقنا في هذه الأثناء يذهب سليمان خال الدكتور محمد إلى منزل شقيقته يسألها عن محمد وأحواله، وحول ما إذا قد تم إخباره بما جرى أثناء غيابه، لتجيبه أنه عرف بكل شيء، وذهب ليتمشى في القرية

ينهض جابر بتثاقل الى الدكتور محمد ليسلم عليه ببرود، ومعه يجلس مرافقيه عبده وقناف، ويتحدث بسخرية عن الدراسة، وكيف أنها لا تنفع في هذا الوقت ومن خلال الكلام يعرف الدكتور محمد أن الشيخ جابر يقوم بتجهيز مستشفى لأهل القرية

يظهر سليمان في الوقت المناسب وبعد أن يقوم باحتضان محمد وتحيته يغادر جابر المكان وهو مستاء، يجلس سليمان مع محمد وصابر ويضاف اليهما عزيز صاحب القهوة، وبعد أن يقدموا اليه التعازي يقترحان عليه أن يمسك الوحدة الصحية في القرية، ويقوم بواجبه تجاه أهل القرية، خاصة وأن المستوصف مهمل ويحارب من قبل الشيخ مانع وولده جابر الذي بنى مستشفى خاص به، بعد أن تأمر على الوحدة الصحية الحكومية

يبدأ محمد ممارسة عمله في الوحدة الصحية بدعم من المجلس المحلي وعلى رأسه عزيز وسليمان، رغم معارضة رئيس المجلس الشيخ مانع والد جابر وتتم خطبة شقيقة الدكتور محمد بابن عمها صابر

يتم افتتاح مستشفى الشيخ جابر في احتفال بهيج، وبعدها بأيام يقدم الشيخ جابر الى منزل الدكتور محمد ليعرض عليه العمل بالترغيب والتهديد، وأن يقوم بالعمل لديه كمدير للمستشفى الأهلي، الى جانب ادارته للوحدة الصحية ولكن محمد يرفض بشدة ويتضامن معه عزيز وسليمان، لكنه يتفاجأ بقرار إيقافه من الوحدة الطبية

تتوالى الأزمات على أهالي القرية فتحترق قهوة عزيز، وهو من أكبر الداعمين للدكتور محمد، ويتم إحراق مزرعة سليمان، في نفس الوقت وعندما يجتمع محمد معهما، يقوم بكل شجن سرد كل

تضحياته في الدراسة وما عاناه وقاساه، وكيف أن القرية بانعدام وعي أهلها يسيطر عليها الفاسدين، ويحدثهما عن حالته وكيف أنه أصبح بدون عمل، كل هذا بسبب نفوذ الشيخ جابر ووالده الشيخ مانع الذي لم يكتف بسرقة حياته ولكن حتى مستقبله أصبح أيضاً في يده، عجز سليمان وكذلك عزيز عن إقناعه وصمما عن الكلام لموقفهما الضعيف هما نفسيهما

يعود محمد الى عمله كمسئول للوحدة الصحية الحكومية، لكن هذه المرة وقد أصبح كذلك مديراً للمستشفى الأهلي، وهنا ستظهر خطة الشيخ جابر الذي يتماهى معها الدكتور محمد فمخططات الإغاثة لا تعترف الا بمسئول الوحدة الصحية الحكومية، والشيخ جابر في حاجة الى توقيع الدكتور محمد لتمرير صفقات بعشرات الملايين، وما تبقى من ضمير لدى الدكتور محمد لا ينفع في اقناع مسئول المنظمة في أن يقوموا بإضافة بعض الأدوية الهامة التي يحتاجها المرضى لإغاثة الأطفال في تلك المديرية النائية، لكنهم يصممون على عقاير محددة كالتطعيم وأدوية لأمرض غير متواجدة في القرية أصلاً

ويأتي مسئول المنظمة الأكبر الى القرية كزائر وضيف لدى الشيخ جابر ولتوقيع صفقات مشبوهة يكون الدكتور محمد طرفاً فيها، ويتم استقباله من الشيخ جابر وأهالي القرية بحفاوة منقطعة النظير، ويكتشف الدكتور محمد أن مسئول المنظمة الدكتور جورج هو أحد زملاء الدراسة الفاشلين الذين لم يكملوا دراستهم، ويستعيد معه ذكريات الدراسة البائسة له وهنا تكون المقولة الشهيرة لمحمد التي سمعتها أذنه ولكنها لم تنطلق من حنجرته: هم لا يكتفون برمي مخلفاتهم التصنيعية إلينا ولكن أيضاً البشرية

يكشف الدكتور محمد كونه أصبح جزءاً من اللعبة، أن المستشفى بالنسبة للشيخ جابر ليس سوى ستار لعمليات قذرة كبيرة وجابر هو وكيل أدوية مزورة ومهرب لأدوية من جهة أخرى، ويدخل عبر المنظمة أدوية منتهية يوزعها في أنحاء البلاد، يتقاسم عائداتها المادية الضخمة، الشيخ جابر ومسئول المنظمة جورج

تتأزم العلاقة بين سليمان وعزيز من جهة وبين الدكتور محمد بعد أن أصبحت الوحدة الصحية، مجرد ديكور ليس أكثر، وجميع الأعمال الطبية تتم في مستشفى الشيخ جابر، وتصل الأمور إلى ذهاب عزيز إلى محمد بينما كان يتواجد معه خاله سليمان، ويهدده بعد أن ينس من إقناعه بمفارقة الشيخ جابر بأن يعتبر خطوبته من ابنته منتهية

تتواصل المؤامرات ما بين مستر جورج والشيخ جابر، وتصل صفقة الأدوية المنتهية الأضخم إلى القرية لتخزن في عيش بين المزارع في ظروف سيئة وجزء يسير منها يخزن في المستشفى الأهلي

يتم مداومة المستشفى الأهلي من قبل الشرطة بينما يكون الاجتماع بين مستر جورج والشيخ جابر والدكتور محمد قائم

تتضح الحقائق لأهالي القرية، فالدكتور محمد لم يدخل مع الشيخ جابر في علاقة، إلا بالتنسيق مع سلطات عليا في الدولة، ولم يخبر عنها حتى أقرب المقربين إليه حفاظاً على إنجاح الخطة

سارة

إنها المرة الأولى التي يتمنى يوسف عدم عودته إلى المنزل في مثل تلك الساعة المسائية، في العادة كان يسابق الزمن للوصول إلى منزله بعد يوم طويل من العمل ، ليقضي أرواح أوقاته مع زوجته الحسنة وأطفاله الثلاثة، لكنه اليوم ومنذ أن اتصل به عمه والد زوجته ليطلب منه زيارته، أحس بالقلق يسيطر عليه و لم يتوقع في أسوأ كوابيسه ما حدثه عنه عمه، كيف له أن يوصل إلى زوجته تلك المعلومات التي يريد منه إيصالها إليها بكل تلك السهولة، إن الأمر سيكون وقعه قاسياً جداً عليها فهو يعلم مدى تعلق زوجته بوالدها أو بالأحرى والدها السابق، لكن لابد مما ليس منه بد وعليه أن يتحمل مسئولياته كزوج، وأن يخبرها الحقيقة مهما كانت مرة، خاصة وأن والدها مصر على إيصال الأمر لها في سرعة

مع مرور الوقت بدأت الصدمة التي تلقاها على رأسه منذ سماعه الخبر تزول عنه رويداً رويداً، وها هو بقليل من المراجعة للمواقف منذ خمسة عشر عاماً حينما تزوج سارة يجد أن ما حدثه به عمه ووالد زوجته، لم يكن مستغرباً لو أن المواقف تقاس بالعقل، ولا يتدخل فيها التسليم المطلق لما هو موجود سلفاً، فعلاقة عمه والد زوجته سارة بابنته لم تكن على ما يرام منذ البداية، ولطالما فكر مستغرباً في مواقف كثيرة حول قساوة ذلك القلب وتجنبيه في بعض المواقف على زوجته، في مقابل لطف ابنته وطاعتها المطلقة له، غير أنه ما كان ليصل إلى ما أفصح عنه والدها قبل دقائق بتاتاً، مهما أطل التفكير في تلك المواقف القاسية التي كان يفرضها ذلك الأب على ابنته الوحيدة، إنها بالفعل المسلمات التي تمنع العقل عن قياس المواقف بالشكل

الصحيح، مهما بدى له الأمر في الوقت الحالي منسجماً مع المنطق، و عندما يراجع يوسف مواقف عمه تجاه زوجته سيجد اللامبالاة والتطنيش هي السمة الغالبة بشكل مستمر، بالإضافة إلى تلك المواقف العنيفة التي تعرض لها بفضل أنه زوجها من قبل تلك الأسرة اللعينة

الأب الغارق حتى أذنيه في أعماله المشغول بأرباحه واستثماراته، وولده سليم الذي كان أتفه من أن يتحمل مسئولية، ولا هم لديه سوى تضییع الأوقات مع أصدقاء السوء، وزوجته المغرورة ناهد منغمسة في ملذاتها وتقود تلك الأسرة بكل فخر نحو الهاوية، وليس هناك من لديه الجرأة أن يردع حماقتها، خاصة أنها أصبحت والدّة لحفيد وحيد جعل منها سلطانة ذلك القصر والأمر الناهي فيه دون منازع

مرت فترة طويلة منذ ذهب آخر مرة إلى ذلك البناء المنيف حيث يقطن عمه عبد الواسع وأسرته الصغيرة، ولكن ناهد زوجة سليم ما زالت كما عرفها للمرة الأولى في تعلقها به، إنها نوع غريب من النساء لم يستطع تفسيره، معرفته بها بدأت في منزل عمه في بداية حياته الزوجية سكن في بيت عمه، لكنه لم يلبث سوى أشهر قليلة خرج من المنزل بعدها والسبب لم يكن سوى ناهد، ولو أنه أطاعها لمأربها لبقى في ذلك البيت الكبير، ولكنه فضل أن يعاني على أن يذهب في متاهات الخطيئة وقد دفع ثمناً من شظف العيش مع زوجته سارة حينها، لكنه الآن يعيش في هناء وسرور، وقد امتلك عمله الخاص وهو ممتن لنفسه العصامية التي لم تدعه يسقط

كان يعلم أن ناهد هي من تقف وراء الكثير من المآسي التي حلت على الأسرة وخاصة ما بين زوجته ووالدها من جهة وبينها

وبين شقيقها سليم من جهة أخرى، لكن ها هو يكتشف أن تحليله للأمور لم يكن سليماً تماماً، فلم يكن لرغبات ناهد المشؤومة أن تنفذ لولا تواطؤ ذلك الأب معها وهذه هي الحقيقة المرة التي لم يستوعبها هو فضلاً عن زوجته الطيبة القلب سارة، إن تعامل ذلك الأب مع ابنته بتلك القسوة جعلت منها لقمة سائغة، لمؤامرات زوجة أخيها وتماديها ضدها

لكنه استطاع أن يخلص زوجته من براثن تلك الأسرة ومشاكلها التي لا نهاية لها، وأن يخرج معها بأقل الأضرار، وعليه أن يتنفس الصعداء هو أيضاً لقراراته المناسبة التي كان يتخذها، ولولا ذلك القرار الذي اتخذه بالخروج من المنزل بعد أن جاءت إليه زوجته باكية قبل خمسة عشر عاماً، جراء مكيدة زوجة أخيها ناهد، لما كان الآن قد حقق شيئاً يذكر وكان الآن العوبة في يد تلك الشيطانة

ما تزال ابتسامة الظفر والشماتة التي كانت على محياها وهو يغادر المنزل قبل دقائق ملء ذاكرته، يا لها من شخصية مريضة ومنحرفة، فعند دخوله إلى المنزل أغرته بأعذب الكلمات، وفي الحديقة الخارجية قبل أن يدخل حيث يستقبله عمه، أخبرته أن ثروتها قد أصبحت طائلة وهي رهن أشارته إن أراد أن يفتح مشروعاً فهي جاهزة لتكون شريكته في أي مشروع يراه مناسباً، وقد حدثته عن رغبتها الانضمام إلى شركته التساهمية الرائدة التي ذاع صيتها، لم يكن غافلاً عن لغة إغراء الجسد الأنثوي وإن تجاهل ذلك

لكن هل يعقل أن تكون تلك المرأة من الدهاء إلى الحد الذي تبتلع فيه كل ما تعب ذلك الرجل العجوز في تحصيله لسنوات طويلة وبتلك السهولة، أم أنها العدالة الإلهية، فذلك الرجل العجوز الذي

بخل بالمشاعر الطيبة على فتاة ترعرعت في داره منذ الطفولة، ولو بالمعنى الظاهري، يصبح العوبة في يد زوجة ولده

حتى وإن كانت زوجته متبناة وليست ابنته حقيقة كما تم إبلاغه قبل دقائق، وأنه وجدها على باب منزله وهي حديثة الولادة، وقرر من قبيل الإحسان تربيتها في منزله، ألا يستحق الطفل المتبنى قليلاً من الحنان، بالحد الذي يجعله يعيش ممتناً وسليماً، لا شك أن البخلاء بعواطفهم في الاتجاه الصحيح سيكونون ضحية لعاطفة مخادعة في وقت ما، تستغلهم إلى درجة الاستعباد وتتلذذ باستغلالهم، وهذا أقل عقاب يجب أن تنفذه عدالة السماء ضدهم

لم تنم سارة في تلك الليلة، وكان عليها أن تحاول الذهاب إلى منزل والدها وكأن أمراً لم يحدث ضاربة نصيحة زوجها بعدم الذهاب عرض الحائط، ونتيجة لذلك سمعت كلمات لم أستطع أن أبلغها وتم طردها من المنزل بطريقة مهينة، كل ما قالت له لوالدها أنها لا تريد شيئاً من الميراث وأن كل ما تريده أن تبقى إلى جواره لتهتم به، وترد بعض الجميل إليه دون مقابل، وهذا تم تفسيره من قبل نفسيته المتكبرة، إنه نوع من التعاطف الذي لا يجب أن يسمعه رجل ثري مثله، يمتلك من الثروة ما تجعل الكثير يقفون رهن إشارته طائعين، ولديه من الخدام في قصره من يهتم بشئونه وليس لديه الحاجة للغرباء لخدمته، ولم يجدها التوسط بعمها عبد الجبار شقيق والدها نفعاً وعلى العكس من ذلك، حاول إقناعها أن ترضخ للأمر الواقع، وازداد وقاحة عندما لمح إليها بكلمات مهينة حول نسبها المجهول

دخلت سارة في حالة من الاكتئاب وظلت لأسابيع على السرير عاجزة عن الحركة، وكان من حسن الحظ أن يتم انتقال المقر

الرئيسي لمشروعي الاستثماري إلى إحدى المحافظات الساحلية، حيث ابتعادنا عن المكان سيكون أفضل للنسيان ولحالة الاسترخاء من الذكريات المرتبطة بالمكان، وكنت مستمراً في تشجيع سارة على تناسي آلامها، ولكن ما بين فترة وأخرى كانت ذاكرتها تخونها، لتنسكب دموعها بغزارة وهي تستذكر ما جرى

لم تقتصر خسارة رجل الأعمال عبد الواسع على ابنته سارة ومشاعرها الطيبة التي كانت تفيض حباً تجاهه، فهو فضلاً على ذلك قد خسر ابناً باراً هو إدريس زوج سارة، فقد كان هذا الشاب المجتهد الطموح نعم العون له في المهمات والملفات وما أكثرها في حياته في ظل وجود أسرة عقيمة كسليم وزوجته ناهد، وبالرغم من الاساءات التي كان يتلقاها من قبل ولده سليم، إلا أنه ظل ملازماً خدمته على الدوام، وكان مليباً لنداء الواجب تجاه عمه السابق عبد الواسع في كل حين

كان قد مر على تلك الحادثة خمس سنوات عندما جاءت إلي سارة لتخبرني أن عليها السفر إلى صنعاء للبحث عن والدها في دار المسنين، ذهبت معها وبعد إجراءات قانونية أخذت والدها وعادت به إلى المنزل، كان من حسن الحظ أن والدها لم يكن قد ألغى رسمياً تبنيها وهذا سهل من المهمة بشكل كبير، ولأول مرة منذ خمس سنوات تعود البسمة إلى وجهها ويشرق البهاء من محياها وتعود إلى طبيعتها السابقة

وخلال تلك السنوات الخمس كانت الكثير من الأحداث قد عصفت بتلك الأسرة، في السنتين الأولى تم الحجر على والدها من قبل ولده وأخيه عبد الجبار بتشجيع من زوجة ولده، وبعد عام واحد يتم إدخال أخيها هشام إلى المصحة النفسية إثر الأزمات التي تعرض لها بسبب تناوله للكحول وأخيراً إدمانه للمخدرات بتدبير

من عمه عبد الجبار وزوجته ناهد، ثم لم يلبث عبد الجبار أن طرد ناهد بعد أن اكتشفت متلبسة بعمل فاضح مع أحد مدراء الشركة التي كانت يديرها، وذلك بتدبير من عبد الجبار نفسه الذي ابتزها بفيديو موثق للفضيحة، أصبح عبد الجبار هو المتحكم الوحيد في ثروة أخيه، وتم إحالة والدها إلى دار المسنين، لم تتوقف سارة عند هذا الحد، ولكنها أقامت على معالجة أخيها واحتضنت ولده الوحيد، وقد أخرجته من مستشفى الأمراض النفسية، وهو يتلقى الرعاية ويتمثل للشفاء في منزل أخته المتبناة سارة

الإشاعة

ذلك الهمس الملتهب بدخان الغيظ بين المرأتين، لم يلبث أن تصاعد رويداً رويداً حتى اضطر يحيى صالح لسماعه، رغم أنه كان المعني بعدم وصول الكلام إليه لكنها طبيعة النساء في كتمان الأسرار عندما يردن إيصالها بطريقتهن الخاصة، وكأنه لا يد لهن في الأمر، الدموع التي سالت من مآقي كريمة زوجة يحيى، والكلمات الغاضبة التي كانت ريم تدحرجها تارة بالتوسل وتارة بالأمر حتى لا يسمع أخوها يحيى الحديث الذي يدور، ساهم بدوره أن يخرج يحيى الجالس بالغرفة المجاورة قريباً من الباب الذي يفتح على الصالة، ليتساءل مستفهماً عما يدور بين المرأتين، ولم يكن من بد أن تخبره زوجته كريمة عما يتم تداوله في القرية، أن الدكتور إبراهيم قد سخر من محصول هذا العام من البن الذي قدمه له يحيى من أمواله المودعة لديه في القرية، كانت كريمة ومعها ريم تعلمان ماذا يعني هذا الكلام ليحيى، الذي ما إن سمعه حتى جف ريقه وارتجفت الكلمات في فمه وهو يخبر زوجته أنه يريد أن يخرج إلى مقهى القرية ليمضي بعض الوقت ولم تنفع كلمات زوجته في ثنيه عن الخروج في تلك الساعة التي لم يعتد الخروج فيها

على عكس أغلب أهالي القرية كان مستغرباً على يحيى الخروج من منزله بعد صلاة العشاء، فمن عادته أن يصلي العشاء، ثم يتناول وجبة العشاء ويبقى مع زوجته وطفليه، قبل أن يخلد إلى النوم باكراً، في المقهى تواجد علي مسمار زوج أخته ريم، وخالد مهيب ذلك الشاب المستهتر، الذي يكن الحقد ليحيى، لص المزارع كان يحيى قد أمسك به متلبساً عدة مرات في مزارع البن والقات، كما كان متواجداً هناك الأمين الشرعي في المنطقة محمد محمود، وقد جلس الثلاثة على طاولة يشربون الأرجيلة مع أكواب البن، ما إن رأى علي مسمار يحيى، حتى نهض لينضم إليه على نفس الطاولة، مستغرباً من تواجده معهم على

غير عادته، لكنه ما لبث أن فهم أهمية الموضوع عندما فاتحه يحيى مباشرة كعادته في الوضوح الذي كان أحد سمات شخصيته الواضحة:

- باعتبار أنك من أوصل الحبوب والبن إلى الدكتور إبراهيم، أيش كلمك بالضبط؟

- شكرنا على توصيل المواد؟

- من كان معك عندما رحلت؟

- أشار علي إلى حيث يتواجد خالد ومحمد محمود؟

- وصلني أنه أبلغك عن قلة المحصول في هذي السنة!

- نعم، لكن بهدوء

- أيش قلقك بالضبط؟

- حين هز الأكياس وكأنه تكلم عن نقص المحصول...

- ما اشتيش وكأنه، قللي بالذي تكلم بالضبط إذا تكرمت؟

- أظن أنه قال: أن المحصول يتناقص من عام لعام رغم وفرة

الأمطار في هذه السنين

- بدى وجه يحيى شاحباً وكأنه قد دخل في غيبوبة، لبرهة قبل أن

ينهض منتفضاً من مكانه ليرتطم بمحمد محمود الذي كان قد نهض

ليشاركهما الطاولة ويطيح به أرضاً، ثم يمضي في طريقه غير آبه

لشيء

عاد يحيى طريحاً على فراش المرض، لا يشكو من شيء محدد، لكنه لا

ينام وعينه متسمرتان إلى السقف، بينما غزت الحمى جسده النحيل

لم يكن خافياً على صافية أم يحيى ما ألم بولدها، ولم يكن سواها التي

سوف يحكي لها كل ما ألم به وعصف بهدوئه واستقراره، كانت والدته

تعرف سر الداء وأين يكمن الدواء، لذلك سافرات إلى أخيها إبراهيم في

صنعاء تستجديه زيارة ولدها يحيى، لأنه الوحيد الذي يملك العلاج

الناجع لحالة يحيى التي استعصت على الطب، ولم يأت الأطباء فيها بشيء جديد

من سوء حظ الأم التي كانت علاقتها بأخيها إبراهيم من أروع العلاقات الأخوية أنها وصلت إلى منزله في أسوأ لياليه عبر تأريخه المهني، فقد قضت بين يديه عصر ذلك اليوم في عملية جراحية فاشلة إحدى الطفلات في خطأ طبي تافه بالنسبة لبروفيسور مثله، كان قد أغلق باب مجلسه عليه، مطالباً أسرته عدم فتح ذلك الباب، مهما يكن الأمر، وبعد أن شرب جرعة من أقوى جرع مضادات الاكتئاب، قرب إليه كومة من أجود أعواد القات وأثمنها، وبين معسل الشيشة حل البانجو بجرعات ثقيلة، وعندما اقتحمت عليه أخته خلوته، كان من الصعب عليها تمييزه بين سحب الدخان، وكان الأمر سيبدو مستغرباً بالنسبة إليها في الظروف الطبيعية، لكنها في تلك المناسبة لم تبال، ألقت بنفسها بين يديه تعانقه وتقبله، وهو لم يزد في ردة فعله من أن أزاحها جانباً بكل برود، بينما واصل تدخينه للأرجيلة، وبينما كانت تشرح له بحرقه معاناة ولدها من القهر الناتج عن كلامه حول المحصول لهذا العام، وعن انعدام المشتقات النفطية وارتفاع أسعارها الجنوني، وبالتالي ارتفاع أسعار مياه الري، واصل الدكتور إبراهيم غير آبه بحديث أخته، حتى جاءت صرختها على هيئة استغاثة:

- أرجوك يا أخي اسمعني

حرق إليها كالمخبول في برود غير طبيعي لدرجة أنه أخافها:

- وقتلي أنه مريض من القهر، وعيموت لأنني قلت إنه المحصول قليل هذي السنة ويش فيها لو تكلمت كذا وقهقه ضاحكاً
- الناس في القرية بيتكلموا بإشاعات ويزيدوا في الكلام
- وما دخلي أنا بقريتك الملعونة قد نسيت ذاك الحثالة من زمان

- يا اخي.....

أشار بيده في هدوء

- اسمعي يا اختي ما عاد أشتي اسمع ولا كلمة، والسفر معش إلى البلاد هذي الساعة لو تحلمي، ولا عاد أشتي أسمع صوتك

في الظروف العادية، كانت أم يحيى من الخبرات في تلطيف النفوس، مهما كانت نافرة، لكنها في هذه اللحظة فقدت حكمتها ربما لأن الموضوع مصيري بالنسبة إليها، وسيكون الشر حتماً عندما تخون الحكيم حكمته المعتادة، وهذا ما حدث في تلك الليلة الرهيبة تماماً، لقد نهضت أم يحيى واقفة و غيرت من أسلوبها مع أخيها

- أيها الملعون إن ولدي يموت بسببك، وأنا لن أسامحك ما حييت إذا ما جرى له شيء

نهض الدكتور إبراهيم واقفاً في نشاطية غير معتادة، وهجم على أخته ليجرها من يدها، ويواصل سحبها حتى يقذف بها خلف أسوار داره مع كم هائل من الكلمات البذيئة

عاد علي مسمار مع عمته صفية وزوجته ريم، وبفضل تكنولوجيا التواصل الحديث، كانت الأخبار قد سبقتهم إلى القرية حول ما جرى، لذلك كان استقبال صفية في منزلها حافلاً بالدموع والألم

لم تجد محاولات الأم دفع الألم والمعاناة عن ولدها نفعاً، على رأسه جلست طوال يومها وليلها تحاول التخفيف عن معاناته لكن دون فائدة

كانت العلاقة بين الدكتور إبراهيم ويحيى علاقة وطيدة منذ الطفولة، وتوطدت أكثر حتى أصبحت أخوية بينهما منذ توفي والد إبراهيم ليستحوذ عمه الأكبر على كل الأموال التي خلفها والده، لينتقل للعيش عند أخته صفية أم يحيى وعمره لم يتجاوز الثامنة، بينما كان يحيى

في الخامسة من العمر رأى في إبراهيم أخيه الأكبر، وكان يحيى بمثابة الأخ الأصغر لإبراهيم يهتم به ويعطف عليه، أصبحت صفة بمثابة الأم لأخيها الصغير إبراهيم خاصة أن والدتهما كانت قد توفيت في اللحظة التي انطلقت فيها صرخة إبراهيم إلى الوجود

بعد سنوات عندما أكمل يحيى المرحلة الدراسية الأساسية توفي والده، وكان عليه أن يتوقف عن الدراسة، ليعمل في الزراعة ويوفر لأسرته احتياجاتها المعيشية

واصل إبراهيم تفوقه ونبوغه الدراسي، ليحصل على منحة في الطب إلى إحدى الدول الأوروبية، ومع تحسن وضعه المادي هناك، أرسل الأموال إلى يحيى الذي قام بفتح ملف القضية ضد عمه المتسلط لينتزع حصة إبراهيم من تركة والده، كانت كبيرة جداً تحوي المزارع الشاسعة بالإضافة إلى الأموال الكثيرة، وقد أبقى إبراهيم مزارعه تحت تصرف يحيى مع حصة شقيقته صفيه

بكل أمانة وإخلاص أدار يحيى أموال إبراهيم وكان يعطيه حصته كاملة ويرفقها سنوياً بحسابات دقيقة، بعد أن أصبح دكتوراً مشهوراً، لم يكن إبراهيم محتاجاً للأموال التي كانت تأتيه من القرية وطالما أصر على يحيى أن يبقيها لسد احتياجاته إكراماً لأخته وأمه الثانية صفيه، التي كان لها فضل تربيته، لكن يحيى المشهور بنزاهته واستقامته كان أكثر إصراراً منه أن يوصل إليه حصته كاملة غير منقوصة

رغم فارق السن البسيط بينهما، كان يحيى يعتبر إبراهيم مثله الأعلى، ولذلك فقد كان يكن له احتراماً وتقديراً عظيماً، ولم يكن من السهل عليه أن يسمع تلك الكلمات، التي تم نقلها إليه وتداولتها السنة أهل القرية فأكثر من اللغو فيها

لم يطل يحيى المرض بعد عودة والدته من صنعاء، فلفظ أنفاسه بين يديها وغسلت جثمانه بدموعها، أيقظت أناتها الثكلى على ولدها كل من في قلبه بعض رحمة من أهالي القرية، فكان مأتماً قل نظيره في تلك النواحي من البلاد، حضر الجنازة من المناطق المجاورة فقد كان يحيى صاحب خير ومعروف، وله ماض مشرف من الاستقامة ونقاء القلب وصفاء السريرة

وما زالت لعبة الأقدار مستمرة ففي نفس اللحظات التي كان يحيى يلفظ أنفاسه المنهكة، وصل خاله إبراهيم إلى القرية مع بعض أصدقائه معتذراً نادماً على فعلته التي اقترفها دون وعي مع أخته صفية، لم توافق أخته التي سقطت طريحة الفراش على رؤيته فضلاً أن تسامحه، وقد بقي في القرية ثلاثة أيام، قبل أن يغادر عائداً أدراجة إلى صنعاء في حزن عظيم

عشرون يوماً كانت الفارق بين أن ودع يحيى هذه الحياة قبل أن تلحق به والدته منهية كل آلامها وحسراتها عليه، جددت القرية أحزانها لكنها لم تتوقف عن إشاعاتها حول ما يجري، وكالعادة البشرية الدنيئة في القدر عندما تحول يحيى إلى لص في حياته من خلال إشاعاتهم وتفسيراتهم المضللة لكلمات الدكتور إبراهيم العابرة، ها هم بعد رحيله مكلوماً مغبوناً ولحاق والدته به، بدأوا مرحلة جديدة لتحميل إبراهيم كل ما حدث، متذكرين فضائل يحيى التي تناسوها في حياته، وقد ساعد الأهالي على إثراء الإشاعات، وصول الدكتور إبراهيم من صنعاء القرية وحيداً تاركاً أسرته وراءه، منزوياً عن رؤية البشر، ولم تكن سوى ريم ابنة أخته صفية تذهب بين الحين والآخر للاطمئنان عليه

تحدث الكثير من الأهالي عن رؤيته طوال الليالي جالساً يمضغ القات على قبري يحيى ووالدته صفية، وعندما تشرق الشمس يختفي عن

الأنظار ولا يراه أحد، لم يطل الوقت حتى استيقظ الأهالي على فاجعة تردي خالد مهيب من أعلى قمة جبلية في المنطقة، وبالرغم من صعوبة تضاريس تلك المنطقة التي وقع فيها الحادث، إلا أن العارفين لطبيعة خالد كانوا يجزمون أنه طوال حياته كان يستهويه البقاء هناك، ولا يوجد أكثر منه خبرةً بتلك المنطقة، ويستحيل أن يكون ما جرى حادثاً وإنما بفعل فاعل، بينما تحدث بعض الأهالي أنه في أيامه الأخيرة كان يسامر الدكتور إبراهيم، الذي أصبح رفيقه الأثير

ازدادت الإشاعة بين أهالي القرية انتشاراً، ومعها ازداد إقبالهم وخاصة الصغار منهم على تناول القات، وحاجة الإشاعة للظلام صار يستدعي منهم أن يذهبوا في الليل إلى القفر الموحش، حيث يبدع خيال الإنسان نظم مرثيته وتجسيم أحزانه، وعبادة بؤسه، لقد جن الكثير من أبناء القرية، ومن لم يفعل كان يتحدث عن ذلك المجنون، الذي أصبح كابوساً يؤرق أهالي القرية، كان يقوم مع الأشباح التي ترافقه بإتلاف القات والثمار للمزارعين، ولا يستطيع رادع أن يردعهم، ولم يكن هناك من يصدق أو يكذب روايات جمّة حول أشباح الليل التي تنتشر عندما يحل الظلام، وذلك الأنين الذي كان يسمعه كل من يمر من المقبرة، إنه أنين ممتزج بين القهر والتكل ليحيى وأمه، وشبح يضع نظارة على عينيه يقف على القبرين متسماً حتى الصباح، الإشاعات كتنت تنتشر أن مجنوناً بنظارة طبية أنيقة أصبح زعيماً فعلياً لتلك المناطق والنواحي، والأمر الناهي دون منازع.

الراقصة

في إحدى أفخم الشقق السكنية، وفي أجمل المدن العربية، بدأت أجمل الراقصات وأكثرهن إغراءً وإثارة في أداء مهام وظيفتها بكل جدارة، والجمهور لم يكن سوى رجل واحد يتربع على تخت، يتابع بكل حواسه المتحفزة ذلك الجسد البض وفتنته الباهرة ومرونته المثيرة في الانتقال بين مختلف فنون الرقص العالمي التي تجمع بين الشرق الأصيل وإبداع الغرب الجميل، وما بين مهارة الأداء وجمال الجسد المثير، لم تتوقف عيني علي طه عن مسح المشهد بكل تفاصيله، فجأة أشار لها بالجلوس على التخت المقابل المجاور، أطاعته في صمت ليناولها كأس شراب فاخر، أخذت الكأس لكنها قالت في لهجة تحمل في طياتها تحذيراً مبطناً وبأسلوب لا يعكر صفو الجلسة الجميلة

- أنا هنا للرقص، وليس أكثر
- لا بأس من فترة استراحة للكلام إذا لم تمنعي، ولا شيء سيحدث هنا إلا بالتراضي

بالرغم من أنه كان قد ابتلع الكثير من النبيذ، إلا أنه لم يمانع من شرب الكأس الذي ناولته بيدها دفعة واحدة

- أنتِ فاتنة ولديكِ موهبة رائعة، وفي هذه الليلة أنت ضيفتي، وسنعتبر هذه الليلة تأهيلية للتعارف لليلة القادمة التي سنقضيها سوياً، في أفخم جناح فندقني في الشرق بمناسبة أعياد الميلاد المجيد

- من أين أنتِ أيتها الفتاة؟

ضحكت بخبث وهي تجيب:

- سؤال تقليدي للتعارف، اشرب هذا القدر، إنه فعلاً الوقت المناسب للتعارف

- لقد شربت كثيراً هذه الليلة
- سيكون الأخير أعدك

وبعد لحظات صمت

- لماذا لا يحدث العكس وتبدأ التعارف أنت وتعرفني بشخصيتك الجذابة أيها الكهل الوسيم؟
- لا بأس، أنا من بلاد ملعونة لذلك لقبوها بلاد السعيدة
- لا شك أنك أحد أعلام السعادة في بلادك
- تجاهل سخريتها وهو يرد
- بلى، فأنا أحد أبرز تجار السلاح
- ولذلك فلا شك أنك من أبرز الأثرياء، في تلك البلاد المنكوبة بالحروب

التقطت الكأس من يده المتهاكة

- يبدو أنك قد شربت أكثر من اللازم
- لا أعتقد أن هذه هي المشكلة، فأنا متعود على شرب الأكثر من هذا النوع
- أخذت يده تمسدها، بينما بدى هو كمن فقد القدرة على الحركة
- دعك من أمري، وحدثيني عن نفسك؟
- نعم إنه الوقت المناسب للحديث، فأنا من نفس بلادك السعيدة، لكنني من الضحايا ولست من طبقة الأثرياء
- عجيب
- وما العجيب في الأمر

فجأة التففت إليه بحدة:

- إنني أستغرب لذاكرة الرجال الضعيفة عكس ما يقولون، هل صحيح أنك لم تعرفني حتى الآن؟ فأنا لم أتذكر حتى!

- حدق فيها متسائلاً و عيناها تزيغان بتشتت
- فعلاً من أنت أيتها الفتاة هل أعرفك من قبل
- بالطبع معرفة حقيقية، قال وهو يهز رأسه
- كلا لا أستطيع أن أتذكرك
- هل تعرف حمود غانم
- نعم لقد كان من أعز أصدقائي
- أنا ابنته لمياء
- هل يعقل...
- عندما استشهد والدي في تلك العملية الانتحارية التي كنت أنت العقل المدبر لها، كان عمري حينها خمس سنوات، عشرون عاماً مضت وانقضت تماماً
- تبدين أصغر من عمرك بكثير
- أيها الوغد لقد كنت صغيرة فعلاً عندما بعثني لذلك الرجل، عشر سنوات هل تعتقد حينها أنني كنت أعرف ماذا يعني الزواج
- لقد نفذ والدي تلك العملية وضحي بنفسه في سبيل هدف مشترك سامي لكم جميعاً، وقد أوصاك برعاية أسرته لأنك كنت من أقرب الناس إليه، لكنك خنت الأمانة، ما زالت صرخات أمي تهز كياني وهي الوقود التي تسعر في نفسي الانتقام طوال السنوات الماضية أيها الحقيير، لقد كنت زائر الفجر المريب ومقابل تلك الشقة الحقيرة التي استأجرتها لنا في تلك المنطقة النائية، كان اقتحامك واغتصابك لوالدتي عند الفجر، وأناتها المصحوبة باللعنات، لا يفصله عني سوى جدار، لا أستطيع البكاء لقد تحجر قلبي، وهذا أقسى ما مررت به، ربما ستعود مشاعري بعد أن أراك صريعاً، وضحكت ضحكة هستيرية، لقد وضعت لك مخدراً في الشراب معه لن تقوى على الحراك
- حسناً، لكن أخبريني كيف وصلت هنا إلى هذا النفوذ والقدرة

- لقد كان ذلك الرجل الذي تزوجني كريماً معي، عشت معه أجمل حياة في قصره الذي خصصه لي وقد استمتع معي ولم يعرف أحد من أهله أنه قد تزوجني، وعندما قضى نحبه بعد خمس سنوات كان قد ترك لي ثروة طائلة، وبحسب الاتفاق بيني وبينه كان علي ألا أخبر أحداً أنني زوجته، خاصة وأنا لم نجب و قد أعطاني أكثر مما استحقه في الميراث، كان ذلك الرجل رغم تدينه الشديد إلا أنه يحب الرقص بكل أنواعه، وبحسب مركزه، لم يكن يستطيع أن يحضر إلى المراقص، وقد شجعتني على تعلم الرقص حتى أتقنته وكان يأتيني بأفضل المدربات في فن الرقص، ولم أبخل على ذلك الرجل الذي أسعدني وبذلت كل ما في وسعي لتعلم الرقص وإمتاعه بما تعلمته، وبعد وفاته قمت بإنشاء معهد لتعليم الرقص، وأنا لا أرقص في المناسبات العامة، ولكن لشخصيات محددة على مستوى عال جداً، وقد استخدمت جزءاً من الثروة التي كونتها بالإضافة للميراث الذي وصلني من زوجي للوصول إليك، فأنا تلك المرأة التي تقوم بالتعامل معها لتمويل مشاريعك الخيرية في بلادك، لقد بنيت المساجد والمعاهد الدينية، وأعتقد أن هذا سيغفر لي ما سأفعله بك أيها الوغد

وبينما كانت في ذروة انفعالها، أشار لها بكل برود بالهدوء، لكنها أشارت إليه بلغة التهديد والوعيد

- لست في مقام إصدار الأوامر أيها التافه
- اهدئي وتعلمي كيف تنصتين مثلما أنصتُ أنا إليك
- أيها الحقير وماذا لديك أكثر لتقوله، فأنا أعرفك وأعرفك تأريخك وكل حياتك السافلة كسفالة....
- أشار إليها بكل صرامة لتصمت، وقد اختفت ملامح الانهاك وحلت محلها الصرامة، إلى حد شعرت بالقشعريرة تجتاحها

- يفترض بك أن تكون متيبساً ولا تستطيع الحراك
- ولذلك يجب أن تسمعي فأنا في أحسن حال و عليك أن تستعدي لسماع مالم تتوقعينه

امتقع وجهها وتحول إلى اللون الوردي، قبل أن يواصل:

- إن كل ما تحدثت عنه هو معلومٌ عندي وكل أوراقك مكشوفة ليس عندي فقط ولكن عند الكبار الذين يطالبون بتصفيتك، لقد أصبحت مزعجة بالنسبة إليهم وقد أوكلوا لي مهمة تصفيتك يا عزيزتي، إنهم أكبر منكٍ ومني ولسنا سوى أدوات في ملاعبهم
- أنت تكذب أيها اللعين، أنا امرأة أتمتع بنفوذ كبير، ولي علاقات كبيرة مع أشهر السياسيين العالميين، وليس على المستوى المحلي والإقليمي فحسب
- هدئي من روعك فاللعبة أكبر مما تتوقعين والسياسيين أنفسهم أقزام في لعبة الاستخبارات، وكل ما ستحظين به هو تعزية على صدر كبريات الصحف العالمية ليس أكثر
- لن تستطيع أن تزعزع ثقتي بنفسي أيها الإرهابي اللعين، فأنت مطلوب وقد أصبحت على رأس القائمة
- أنا لست مطلوباً لأنني على رأس قائمة الإرهاب، ولكن لأنهم أصبحوا يشكون في ولائي، لأنني لم أعد طوع بنانهم بالشكل المطلوب، ولذلك فقد أو عزوا لي بالقيام بهذه المهمة شخصياً
- أية مهمة تعني
- مهمة تصفيتك، لأنك أصبحتِ تشكّلين خطراً عليهم، وهذه المهمة بالنسبة لي ستكون بمثابة إعادة الولاء لهم والأمور إلى مجاريها بالنسبة لي
- فلتضحك بهذا الكلام على غر ساذج غيري، أما أنا لن تنطلي حيلك علي

وبينما كانت تبحث في حقيبتها عن شيء ما، أمسكها من يدها بقوة

- كنت أمل أن أجد امرأة واحدة عبر مسيرة حياتي لا تتمتع بالغباء الكافي، لكن يبدو أن هذا محال
- لكن ألا يفترض بك أن تكون مخدراً، لقد أعطيتك عقاراً قوياً، وبجرعة مناسبة يفقدك السيطرة على أعضائك
- وبالمناسبة أستطيع أن أذكر لك اسم العقار ومن أي صيدلية اشتريته، وأي طبيب تافه وصفه لك، وبالتوقيت أيضاً، وأصبحت لهجته أكثر حزمًا، ألا يكفي هذا لتعرفي أن أقدامك على منصة الإعدام، لقد أخذت المضاد المناسب، كل خطواتك محسوبة، وأنا هنا لإنقاذك

- دست رأسها بين يديها وانتحبت، ولكن كيف سأعرف أنك فعلاً ستنقذني ولست جزءاً من المؤامرة

- هذا يعتمد على ما تقررينه أنت في هذه اللحظات، والقرار السليم يعتمد على ذكائك، كلانا مطلوب ولا فرق بيني وبينك، لكنني أدرك هذا بينما تواصلين أنت الغباء، لقد كنت مجرماً نعم، وقد مارست الكثير مما كنت اعتبره في صالح الدين، وهو يخدم أجندة خارجية ضد بلدي، لكنني في اللحظة التي أفقت فيها بعد أن جندت المئات لهم وفي خدمتهم، إذا بهم يختطفون حفيدي، لإجباري على العودة، لقد كانوا متفوقين علي لأنني كنت واثقاً بهم، لكنني أعدت ترتيب أوراقني في الفترة الأخيرة، وكل ما أرجوه منك أن تتقي بي لأنه ليس لديك خياراً آخر، وقد أعطيتك من المعطيات ما يكفي

بعد برهة قصيرة

- حسناً ما المطلوب مني؟

- أولاً أن تواصلني استمرارك في لعب الدور وكأن شيئاً لم يكن، ثانياً عليك أن تعلمي أن هناك فرصة للنجاة وقد عملت على هذا الأمر ولكنه يعتمد عليك، هل اتفقنا؟
- وهل لدي خيار؟
- إذا فلتعلمي أنني عملت إلى دعوتك إلى هذا المكان دون علم منهم، لكنهم بالرغم من ذلك يعرفون
- وهل هذا لغز أم ماذا؟! لقد جننت وأنت تزيدني جنوناً
- إحدى القواعد التي تعلمتها في حياتي غير الاعتيادية هو أن السلوك الطبيعي تماماً والرضوخ للأوامر الحرفية يعمل على الشك وجلب المتاعب أكثر من سلوك غير طبيعي مدروس،
- لا أفهمك
- ولذلك استطعت أن أحصل على المعلومات الكافية لأدعوك إلى هذا المكان، وعندما تقبلت الدعوة مباشرة، تأكدت من المعلومات التي زودوني، ومفادها أنك تعملين على محاولة قتلي، لكن ما لا يعلمونه هم أنني أعلم أنهم يعرفون عن هذه الدعوة، وأنهم حالياً يراقبوننا
- ماذا تقول أيها السافل؟
- نعم لقد استأجرت هذه الشقة بشكل سري وقد عملت شخصياً على أن يعرفوا عنها فبالأمس بثُ هنا، ولم يكن شيء قد حدث لكنني عندما عدت اليوم ظهراً، وجدت أنهم قد وضعوا كاميرا مراقبة خفية بشكل ذكي، من الصعب اكتشافها، لكنني فعلت، ولذلك قمت بعمل الديكور بهذا الشكل، الكاميرا، وراءنا وبما أن هذه الكراسي السريرية التي نجلس عليها مرتفعة فهم لن يرونا في استراحتنا هذه، ويجب عليك أن تطمئني فجميع الغرف في الشقة لا تحتوي على أية كاميرا، على عكس الجناح الذي تم حجزه لنسهر فيه في الغد، لذلك يجب عليك حالاً أن تنهضي لتواصلني عمك بشغف كما كنتِ وعلينا

بعد ساعة من الآن أن نأكل الفطور الشهي المعد، وأن ندخل بعدها إلى جناح النوم، وهناك سأخبرك بتفاصيل الخطة للنجاة، هيا أرجوك، الوضع يعتمد عليك ولا داعي للعواطف

انتشلت المسدس الكاتم للصوت من حقيبتها ووجهته إلى رأسه المتدلي، ونظرت إلى وجهه الشاحب، قبل أن تقول

- هل تعلم أن من سوء حظ المرء بل وتعاسته أن تأتيه الفرصة ضد الأشخاص المطلوبين، لكن بعد أن يتغيرون ويتحولون إلى جانبه، بينما كان ماضيهم بالنسبة إليه إجرامي سخي

أعادت المسدس إلى الحقيبة ونهضت في خفة لترقع فوق رأسه، وتحتضن وجهه بيديها وتمتص شفثيه بعمق، قبل أن تهمس في أذنه
- شكراً

لتواصل هز جسدها المثير بشغف أكبر

قصص قصيرة جداً

ق.ق.ج

رحيق

منذ تذوقت شفتيها، لم تعد جدتي تشكو من سرقة العسل في مزرعتها
لتربية النحل، أصبحت تحقق إلي بعينين يملؤها الإشفاق، مُدّ كشفتني
متلبساً أمص الرحيق بجنون من ثغر ابنة الجيران

زهو

منذ ذلك المساء الذي ارتطم بعينيها، لم يعد الفضاء يتسع له، ورأسه يدق
في جدار السماء

جسيم

- أنت لا تخاف الجسيم
- كلا لقد عشت حياة أسوأ من الجسيم وقد تعودت، وطالما أنني أتمتع بموهبة التعود فأنا لن أخشى من شيء

تعب

- لماذا الاصطدام دائماً، لقد تعبت
- عليك يا صديقي أن تعيد النظر في مواصفاتك للطيبين وأنصحك أن تخفض من سقف توقعاتك من البشر أيضاً

مثالية

- أليس بإمكاننا أن نكون أسوياء
- في هذه الحالة ستدوم الأحزان إلى مالا نهاية

استثمار

- انتبه أنت تدوس على جرحي
- عذراً، ماذا الآن
- إنه موضع آخر، لكن هل يجب عليك أن تدوسني، آه لقد جرحتني
- حسناً إنها منطقتي سأستثمر فيها

حصار

- الأوغاد لقد أحكموا الحصار حولنا
- وما الحل
- علينا أن نعيد النظر في كلمة (أوغاد)

العالم الآخر

- أمي مازالت تلك الكوابيس تراودني في هذا العالم الجميل، رائحة الغاز تملأ أنفي أنهض من نومي مذعورة، أنا في حاجة إلى والدي
- يا ترى ماذا يفعل الآن
- إن والدك قد خاننا. ولم تكن قصة انتقاله المفضلة عبر الرصاص بديلاً للغاز سوى حيلة للبقاء في ذلك العالم
- لا تظلميه يا أمي ربما توجب علينا مساعدته للحاق بنا وإنقاذه من ذلك المكان الكئيب
- وماذا تقترحين يا صغيرتي
- حسناً بما أننا نستطيع أن نتخاطر مع الأطفال فقط في ذلك العالم علي أن استفيد من علاقتي الحميمة مع جاري السابق علاء
- بعد يومين كان علاء ووالدته يعيشان معهما في ذلك العالم الذي انتقلا إليه
- وفي خلال عام كان هناك الكثير من الأطفال وأمهاتهم لديهم
- ماذا يفعل والدك يا طفلي ولماذا لم يلحق بنا
- إنه لم يعد يستطيع لقد تم القبض عليه، وهو الآن في زنزانة انفرادية بتهمة اغتصاب الأمهات وقتلهن مع أطفالهن
- اللعنة ماذا يفعل ذلك المعتوه
- وهل تصدقين كلما يقال في ذلك العالم المجنون يا أمي؟! إنه فقط يوفر لهم مكاناً أكثر جمالاً وأمناً ألا تدركين ذلك.

روح جميلة

في غمرة نشوتنا الساخرة تساءلت صديقتي الفيلسوفة هامسة في أذني:
- إنني لأعجب كيف اجتزت هذه المراحل من العمر وما زلت تحمل
روح المرح والدعابة مع نقاء الفكر وسلامة الصدر، الأوغاد وما
أكثرهم من حولك وفي كل ممرات حياتك، كيف نجوت ولا ندوب؟!

بعد تنهيدة حارة:

- ومن أخبرك يا صديقتي أنه لا ندوب، إنها كثيرة ولا تحصى لكنها في
أسفل حذائي
ضحكت صديقتي بمرح طفولي ثم جنوني وغرقنا معاً في ضحكة رددت
صداها أعماقنا الثائرة

سقوط

ثم رأى فيما يراه النائم أنه على وشك السقوط، قبل أن يستيقظ ليجد نفسه
في قعر السقوط نفسه

جنون

ولم يكن أمامه سوى الجنون ليستعيد عنفوانه اللاشعوري، وليربت من جديد على هزائمه اللذيذة دون أن يشعر به أحد سواها

مناهة الزمن

على حافة الوقت، التقط أنفاسه المنتشية متسائلاً: يا ترى كم بقي
للوصول؟؟!!!

حقّ طبقي

لو كنت إلهاً لما عاقبت الأثرياء الجشعين بأكثر من جعلهم متسولين في
الجنة

ما رأيك يا صديقي في هذا العقاب؟! ألا يروق لك كخيار أفضل من
الجحيم

وكانت غمزة طرفها الجميل وابتسامتها المميزة في سخريتها اللاذعة
تكفي لأعرف المقصود من وراء كلماتها وأنني أحد أهدافها ولأصب
حمم غيظي عليها:

عليك اللعنة أيتها اليسارية الطبقيّة الحاقدة

توقيت

وعندما حان الوقت المناسب كان المناسب قد فقد ذاكرته تماماً

تزامن

قبل أن يدرك اللحظة المناسبة، استرعى انتباهه فوات الأوان

خيانة

أفاقت من صدمة الخيانة، لتغرق في خيانة الصدمة من جديد

ضياع

في النظرة الأولى إلى عينيها، العابقتين بميلاد رياحين النور، أزهر قلبه،
وفي الثانية فقد ذاكرته، وما بينهما سرق عمره.

نُبل

وهلا حدثتني يا صديقتي عن اجتماع العظمة والنبل الإنساني في ذلك الرجل وزوجته اللذين أنقذا البلدة بكرمهما، لقد أخبروني أنك الوحيدة التي تعرفين القصة كاملة

حسناً يا صديقي:

بدأت القصة في الماضي، لقد كان صبيّاً وكان أحد المهمشين الفقراء ولذلك فقد عزم على الرحيل بعد أن يؤس من أن يكون مقبولاً هنا في هذه البلدة، فذهب إلى صديقه الوحيدة التي كانت تحمل أنبل قلب ليودعها:

- أنا راحل نحو البعيد وقد أعود ولا أعود، الوداع
- لماذا
- لأبحث عن ظلي
- ولماذا كل هذا العناء
- أنت تعلمين لم يقبل بي أحد، الجميع دون استثناء طردوني، لا كرامة لي بدون ظل
- أنا أقبل بك، وخطت نحوه وامتزجا في عناق حميمي، وعندما مشى كانت هي ظله

ألم

بأسى نظرت الأم إلى طفلها الذي يتلوى من الألم:
لا عليك يا صغيري، لا مزيد من الألم بعد اليوم، سينتهي كل هذا
الوجع بجرعة واحدة، أغمض عينيك فقط، وسكبت في فمه جرعة
الدواء المضاد للالتهابات غير الستيرويدية (إيبوبروفين)
بهذه الكلمات القليلة اختصرت القضية التي كان يتصفحها عضو
النيابة الجزائرية المتخصصة والتي تحولت إلى سلسلة جرائم هزت
الضمير الإنساني، فقد مات الطفل الوحيد لتلك الأسرة نتيجة شرفته
بالدواء، وقتل الأب الأم قبل أن يجن، بعد أيام قليلة وجد المجنون
الذي كان يجوب الشوارع ليتسول الناس منادياً باسم طفله وزوجته
ممزق الأعضاء والأحشاء.

المجد

عندما رآه بادره مسرعاً فوق سيارته الفارهة بينما كان هو يمشي
راجلاً على قدميه

- كيف حالك يا صديقي وزميلي القديم
- أهلاً

- أتابع كتاباتك وشخايبطك، لكن ما زلت أشفق عليك وكما يقولون
المجد لا يؤكل خبزاً، حتى السيارة لا تملكها

- إن أردت وظيفة فخذ كرسي فيه رقم تلفوني الخاص

- لا، شكراً يا صديقي، أنا مقتنع بما أنا فيه، فلتتركونا وشأننا مع المجد
ولكم أن تنعموا بالتخمة والحمامات الإفرنجية

وردة

- لا أستطيع أن أعيش بنصف قلب
- لا خيار أمامك..
- بلى
- ماذا ستفعلين
- سأطفيء النصف الآخر
- وسقطت وردة
- .
- .
- .
- ودمعتان

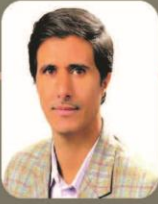
نُدبة

بعد أن تأملت وجهها في المرآة، التفتت في حدة إليه

- يا للهول ما هذه الندبة على جبيني؟
- لا تقلقي يا عزيزتي هذه الندبة هو أثر الرصاصة التي نقلتك إلى هذا العالم الجميل، وهي ثمن الانتقال من ذلك العالم الكئيب إلى هذا العالم الرائع، حيث نستطيع أن نحقق أحلامنا
- آه لماذا لم تخبرني أن هذا التشوه سيحدث؟
- وماذا كنت ستفعلين؟
- أختار طريقة أخرى للانتقال، حتى لا يتشوه وجهي
- اقترب منها، وبيديه الحانيتين، تحسس خديها وهو ينظر إلى عينيها الجميلتين
- أنا هو الوحيد من يههم أمر هذا الوجه الجميل، ومازلت أراه كما نظرت إليه في أول مرة، لوحة إبداع لا تنتهي عجائبها ابتسمت في حياء، بينما واصل حديثه:
- علينا أن نهتم بشئوننا الخاصة، ومالم نكن قادرين على تحقيقه في ذلك العالم، يجب أن نهتم به هنا، سيكون الاهتمام بالزواج أولويتنا، وهذا ما ضحينا من أجله لننتقل من ذلك العالم المأفون
- بعد أن لامست شفتاه تلك الندبة على جبينها في حنان، نظرت إلى الندبة الصغيرة على جبينه:
- أتمنى أن يكون في هذا العالم طبيب تجميل بارع، لن نتزوج قبل أن نخفي هذه الندب، أريد أن أنسى ذلك العالم تماماً.

الفهرس

رقم الصفحة	العنوان	م
7	الجوارب	١
13	اعتراف	٢
24	صدى النبوءة	٣
31	الراعية	٤
39	قواعد معكوسة	٥
46	الشاي	٦
54	الجندي المجهول	٧
61	سلمى	٨
74	التوأم	٩
80	رمال متحركة	١٠
93	خبية	١١
96	فساد منظم	١٢
101	سارة	١٣
107	الإشاعة	١٤
114	الراقصة	١٥
122	قصص قصيرة جداً (ق.ق.ج)	١٦



..ما أشهى حواء مع الخطيئة، من يدعي إحاطته المعرفة الكاملة بالمرأة فهو غبي، في الجنة كادت حواء أن تهجر آدم وتلتحق بإبليس الى الأبد، لكن آدم أدرك السرفارتكب الخطيئة، وهبطت حواء من الجنة تعشق إبليس وغروره الذي لامس شفاف أنوثتها، ولكنها تبحث عن آدم المغامر الأحقق الثمل من وزر الخطيئة، اختار آدم جنته ووطنه الأبدي حضان حواء لأنها بالنسبة إليه قدرٌ لا مفر منه، وفصلت حواء الفناء على البقاء الأبدي والتعيم في الجنة، فكان آدم اختيارها ورغبتها الحرة، رغم أنها أبقت الباب موارباً ليبقى الشيطان رهن إشارتها وبناتها إلى الأبد، ولأنها من ضلع طيني أرضي، تسكرها رائحة الطين، وتعيد اليها خلقها الأنثوي الأجمل، الله سيغفر كل خطيئة يرتكبها الرجل لإرضائها، المرأة ابنة حواء تريدك مغامراً جسوراً، ترتكب الخطيئة من أجلها لتجني السعادة كاملة من بوتقة رضاها، ما أشهاك وأبهاك يا ابنة حواء في ظلال الخطيئة، الأنثى هي الوجه الآخر لثوراتنا العمياء التي تقدس المغامرين من اللصوص والفاستدين، وتلقي بالأغبياء من المؤمنين بالفضيلة والقيم وقوداً لحروب لن يجني ثمرتها سوى الأوغاد.